رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
(٣٦)



مملكة النحل

رواية من الأدب التركي
فازت بالجائزة الأولى في مسابقة الرابطة

علي نار



نقلها إلى العربية
كمال أحمد خوجه

العبيكان
Obeikan

رابطَة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
(٢٦)



مملكة النحل

(رواية من الأدب التركي)

فازت بالجائزة الأولى في مسابقة الرابطة

تأليف
علي نار

نقلها إلى العربية
كمال أحمد خوجه

العبيكان
obeikan
Publishers & Booksellers

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نار، علي

مملكة النحل/علي نار. - الرياض، ١٤٢٧هـ

١١٤ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٤-٧-٩٠٧-٤٠-٩٩٦٠

١- القصص التركية أ- العنوان

ديوي ٨٩٤,٣٣٠٣ ٨٠٣/ ١٤٢٧

ردمك: ٤-٧-٩٠٧-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٨٠٣/١٤٢٧

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

الناشر

العبيكان Obeikan Publishers & Booksellers

الرياض. العليا. تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل]

تمهيد

الاسم العربي لهذا الكتاب هو «جزيرة النحل» فأطلقنا عليه اسم «مملكة النحل»

تعرفنا على الكاتب دون موعد سابق أثناء جولتنا في الشرق الأوسط. ففي رحلتنا من الكويت إلى البحرين، رأينا رجلاً يصطاد في مكان يعرف بالبحيرة، كان يمسك بالسمكة فيشقها ثم ينشرها تحت الشمس. جلسنا إلى جانبه نحادثه. وبعد قليل بدأ يأكل السمكات التي أنضجتها حرارة الشمس. فزاد من اهتمامنا، نظرت إليه وقد حولت الأوساخ لون وجهه ويديه إلى الزرقة ثم قلت مداعباً:

- أظن بأنك ديوجين! فأجاب:

- إن ديوجين لا مؤلف له، أما أنا فصاحب مؤلف.

وأخرج من نطاقه حزمة من الورق وصار يقلبها وهو يقول:

- هذا مؤلفي. إنه حقيقة تلقي الضوء على تحرر الشعوب من كل

النظم الأجنبية واضطهادها الثقافي؛ أضف إلى أنها من النحل التي أوحى الله إليها. لا تستهينوا بالنحل، إنها مخلوقات تمكنت بنظامها من تأسيس مملكة السعادة! فليستلهم منها أبناء مملكتكم..

رجوناه أن نترك عنده متاعنا رهينة، وأخذنا هذه الصفحات، وصورناها في أقرب بلدة، لكن هذه المذكرات بحجم رواية، على شكل حكاية غريبة. ولم يكن لها تقديم يعرف بها. فرجوناه أن يسرد لنا قصة كتابتها. فقال: إنه كتبها بقصبة غمسها في حوصلة سمكة، وعندما نشرها تحت الشمس صارت بأيدينا كتابة بنية اللون. وذيلها بتوقيعه. فقرأنا فإذا هو.. «أبو خنفس» وكان يعني له «أبو الحشرات». وذكر لنا أن سبب تسميته هذه هو اهتمامه الزائد بحياة الحشرات. أما اسمه الحقيقي فلم يذكره لنا رغم إصرارنا الشديد. ولم يزد على قوله: يجب أن أعرف بهذا الاسم. ونحن بدورنا صرفنا أربع سنوات من عمرنا فحولناها من العربية العامية إلى رواية. وسمينا الكاتب بالكلداني لكونه عراقياً. وأضفنا إلى هذا الرجل الغريب كنية ولقباً هو «أبو خنفس الكلداني» وكتب عن مواصفات مذكراته السطور التالية: «بقيت مراقباً قرابة عشر سنوات حتى تمكنت من كتابة هذه القصة. وكان السبب في مراقبتي، صخرة عليها آثار. هذه الصخرة في إحدى الجزر الصغيرة قبالة البحرين، وهي عبارة عن صخور مدببة لا تتجاوز مساحتها عشرين أو ثلاثين متراً مربعاً، تعرف بجزيرة النحل حيث لا يسكنها من الحشرات إلا النحل والنمل. وبعد مراقبة هذه الآثار على الصخرة التقيت بالناس الذين يقيمون في الجزر المجاورة. وسمعت من أفواههم قصصاً طريفة عن هذه الجزيرة. لكن خلاصة ما قيل: هي أن الجزيرة

استولت عليها الأفاعي والعقارب في فترة من الفترات، وبعدها عادت النحل إلى مملكتها، وكانت النحل قد اتخذت من جزيرة (كُنْ) قاعدة لها في هذه الفترة. وهناك رواية من صيادي السمك الذين حضروا عودة النحل إلى بيوتها القديمة، فقالوا: إنهم وجدوا أعداداً كبيرة من جثث الأفاعي والعقارب. وأهم جانب في هذا الموضوع ملاحظة رجل عجوز في العاشرة بعد المئة من عمره: «كنت مثلك كثير الاهتمام بتلك الآثار. والذي أثار اهتمامي أكثر من آثار أرجل النحل على تلك الصخرة هو أني رأيت أن الأزيز الذي يصدره النحل عند شروق الشمس له معنى. والواقع أنك لن تجد مثل هذا الاحتفال في أي خلية من خلايا النحل. وقال ذلك العجوز: إنني نحال.. نعم، كل السر في هذه المجموعة. وعلينا أن نفهمه. ثم تلا هذه الآية من القرآن الكريم: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ . . . ﴾.

فكلمة الوحي هذه زلزلتني، وأشعلت صواعق في ذاكرتي. بدأت الأصوات تئز في رأسي مثل أزيز النحل. وكان وقعه المفاجئ في قلبي أنه لا بد من وجود لغة خاصة بهذ النحل. عندها تذكرت عبارة «لسان الحال» الواردة في جميع الكتب المقدسة التي هي حديث كل مخلوق بلغة تناسب خلقتها، أو بثها للإنسان عن أشياء بخلقتها وبنيتها.

ولكن قد يكون الأول أرجح. أي أن الأصوات المختلفة التي تصدرها الحيوانات ماهي إلا طريقة للتفاهم فيما بينها. يمكن أن تكون هذه الطريقة لغة. وكان عليَّ فك أسرارها. وقمت من فوري بزيارة النحالين والحديث معهم. وهم بدورهم تحدثوا عن أشياء غريبة لها علاقة بحياة النحل. لكنهم لم يستطيعوا أن يعبروا عنها تعبيراً كاملاً، بل تحدثوا عن

تجاربهم كيفما اتفق. وتحولت من فوري إلى الكتب. درست حياة الحيوانات وقرأت الأبحاث التي أجريت على النحل. ومن أجل ذلك زرت الهند والقفقاس ومصر ومررت بأستراليا والفلبين بقصد التجارة، وعلى ضوء المعلومات التي جمعتها تولدت لدي القناعة: بأن النحل تملك القدرة المتكاملة على التفاهم فيما بينها. وتتم على نوعين: الصوت والحركة.. استغرقت عملية جمع المعلومات خمس سنوات كاملة. وأخيراً تكونت لدي (ألف باء) للنحل. (كما سأوردها بعد قليل) فإنني عشت بمجموعة (الأف باء) هذه بين النحل ثلاثة أعوام بتمامها، على طريقة (الثوب واللقمة). أستمع وأراقب. وحدث أن تعرضت في البداية لهجوم النحل. لكني كنت محتاطاً، فاستحال عليها غرز إبرها في جسمي، ثم تعودتْ عليَّ. وعندما اقترب العام الثالث من نهايته - والحقيقة أنه العام العاشر - وضعت يدي على (ألف باء) الصوت والحركة والرسم، وفككت الأصوات والاحتفالات، الجماعية، واستعنت بذلك للحصول على معلومات عن موسيقاها وألحانها وعن كتابتها على تلك الصخرة السوداء في كيفية تخلص جزيرة النحل من اضطهاد الأفاعي. إنها معلومة شديدة الإيجاز أقدمها في صورة حكاية لكل الأطفال، وليس لي في هذه الحكاية التي تعبر عن الحقيقة كاملة، سوى الجمل الاعتراضية والتشبيهات.

ولتكوين فكرة:

أقدم ألف باء النحل،

والنحلية (المصطلحات في لغة النحل)

والنوتات في الموسيقا النحلية،

ثم معاني رقصة النحل.

والواقع أنها أشياء قصيرة جداً، ولها معان متعددة، إذا جمعتها إلى بعضها بعضاً صارت وحدة؛ فإذا جمع صوت إلى حركة اكتسب معنى مختلفاً. ولا يمكن فهمه إلا بمراقبة طويلة.

وهنا ينبغي أن أسجل ملاحظة:

لعل النحل بعد هذا الانتصار فتحت عهداً جديداً، فبقفزة بدأت طريقة جديدة في صنع الخلايا ووضع العلامات عليها:

فبعد أن كانت تبني بيوتها وخلاياها من العشب الأخضر والأزهار الممضوغة صارت تستعمل قواقع الرخويات وما شابهها.

ثم إنها طورت الإشارات التي تستعملها في التفاهم؛ فبينما كانت تستعين بالعشب الممضوغ، صارت الآن تكتب وتشير بحليب النحل (خلاصة العسل)...

وليس بمقدور كل نحلة أن تكتب وتنطق بالألحان. فنظام النحل ينص على أن لكل عمل من هو أهل له، فهذا العمل يؤديه من أنثى النحل أنحفها. والنحلة التي لا تقدر على الطيران بعيداً لنقل العسل، تتولى مهمة الكتابة، أما النحل ذات الرؤوس الكبيرة فمهمتها أداء الأناشيد، وهي ذات صوت جهوري..

١- (ألف با) النحل:

DİKKAT	SULH	ÖLÜM	YILAN	AKREP	Kanatlı KARINCA	DOSTLUK	HÜCUM	YAŞA	ÜLKE
انتباه	سلام	موت	ثعبان	عقرب	النمل المجنح	صداقة	هجوم	تحيا	وطن

Arılar adasındaki, güneye bakan kayada arı sütüyle yazılan kitabe şöyledir. Yazı alttan yukarı okunuyor:



(١)

Yaşa yaşa Arılar yaşa



(٢)

Kanatlı karıncalar dostumuz.



(٣)

Yaşasın Arılar ülkesi



(٤)

Dikkat dikkat, karıncalara barış.



(٥)

Akreplere, akreplere ölüm.



(٦)

Yılanlara yılanlara hücum

وما كتب بحليب النحل على الصخرة المائلة نحو الجنوب بجزيرة النحل، هكذا. والكتابة هنا تقرأ من أسفل إلى أعلى:

(١) تحيا تحيا: تحيا النحل (٢) النمل الطيار أصدقاؤنا

(٣) تحيا مملكة النحل (٤) انتباه انتباه، السلام للنمل

(٥) الموت الموت للعقارب (٦) الهجوم الهجوم على الأفاعي.

وهذا هو المعجم الأساسي للنحلية:

(ومن الطبيعي أن تتوقف المعاني على الحركات.)

الأصوات	المعاني
وز:	صوت عادي وطبيعي. بحث.
جز:	نداء فردي في حال الخطر.
وز.. وز.. وز	تفتيش المنطقة لحظة الطيران.
ون:	انفعال، استعداد للهجوم.
ور.. ور.. ور:	هجوم واشتباك.
ون.. وز.. جز:	لحظة المرض، لحظة اضطراب.
جزط:	سلام وحديث .
طن:	زهرة تصلح لصنع العسل.
وس:	انتباه خطر.

نيس: صفير، نداء.

فرط: غرز الإبرة.

المصطلحان الأخيران دخلا من لغة الأفاعي والعقارب.

الحركات والرقصات:

١ - أنثى النحل التي تقف على أرجلها الخلفية وتدور، وتصفق بأجنحتها، وتصدر صوتا: تبشر بمصدر العسل وتحدد اتجاهه.

٢ - العاملة التي تمشي بطريقة مستوية، وتصدر صوتاً ثخيناً ومتقطعاً: تتبئ بالخطر.

٣ - النحلة التي تقلع نحو الشمس وتسقط: تنبئ عن مرضها وتعالج فوراً بحليب النحل.

٤ - الطيران الجماعي والأزيز فوق الأشجار والأزهار: احتفال بالعيد وبالتوالد.

٥ - تكرر الإقلاع والحط على الخلية: ترانيم للتبويض.

٦ - دوران على الرأس في نفس المكان: نداء للقيام بالواجب.

٧ - وقوف على الأطراف الأمامية وأزيز مع احتكاك الأطراف الخلفية: الإخبار عن ساعة النوم أو عن غياب الزملاء.

هذه الكلمات (الأصوات، والحركات) تكون ما يقابلها في الكتابة بالإشارات، ويتم التفاهم إذا جمعت إلى بعضها في أشكال مختلفة.

هدية نقدمها للناس الذين انقطعت صلتهم بثقافتهم الأصلية!

ولنقرأ الآن ما رتبناه من الملاحظات بعد ترجمتها:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾
[الأنفال]

مملكة النحل

هناك جزيرة صغيرة بأطراف البحرين في خليج البصرة تتلاطم حولها الأمواج المالحة ذات الزيد الأبيض. عبارة عن صخرة مدببة وحولها عدة أمتار مربعة من التراب استطاعت ثلاثة أشجار أن ترسل جذورها إلى أعماقها، كأنها مدخنة سفينة غارقة بصواريها، الأشجار غلب عليها لون الأشنة، الصخرة مثل سواد المدخنة.. بوجوهها السبعة كثيرة الأشكال توحي بمنظر ماسة سوداء بين الزيد الأبيض.

في يوم من أيام خليج البصرة ذي الجو الضبابي والشمس الصافية، حيث الجزر الصغيرة تنظر إلى وجوه بعضها بعضاً وكأنها تتبادل التحية. هذه النتوءات الصغيرة لا تصلح لأن يقيم فيها البشر، ولا يأبه بها إلا الزوارق والقوارب التائهة ولا تطؤها أقدام البشر. حتى إن بعض هذه النتوءات تبتلعها الأمواج العاتية والعواصف فلا تجد بها أثرا للحياة والنبات.

ولذلك يقال: إن اصفرار أوراق تلك الأشجار الثلاثة هو من فعل الاستحمام بالماء المالح. والواقع أن بعض الوجوه من تلك الصخرة الصامدة كالرجال، لا تجد فيها كثيراً من الرواسب الملحية ولعل الأمطار التي تنزل بغزارة واستمرار تغسلها جيداً وتنقيها..

وبعض الجزر الصغيرة التي تبعث ضحكاتها من خلال الضباب، تغلي فيها الحياة، ولكن لا أعرف إن كان في الأمر غرابة؛ ذلك بأنه يبدو على أهل الجزيرة أنهم اتفقوا في أن يكونوا من أصل معين ومن صفات متقاربة... ففي الجهة الشرقية حيث الجزيرة الصغيرة المعروفة بجزيرة «كن» التابعة للنحل بسهولها المرتفعة لا تعيش إلا الزهور والفراشات. أما في جزيرة «قم» الشمالية فيعيش عدد من أجناس الأفاعي. وفي الغرب حيث الجزيرة بتربتها ذات الشقوق والحزوز توجد العقارب السوداء والصفراء. أما السلاحف وأنواع الحرباء ففي الجنوب حيث الجزيرة الأصغر مساحة المعروفة بتلتها الملساء الجرداء.

ولا تسألوا عن النحل، إنها تعيش في أجملها ومع أجملها، تعيش مع النمل. والنمل مثل النحل تجد وتعمل، وتحافظ على النظام. إنها الأبناء المسالمون لأسرة عريقة، مريدان تابعان لشيخ واحد..

فإذا اقتربت من الجزيرة الصغيرة بزورق، وجدت الأمواج تداعبها كالعادة؛ شبّ، شبّ، شبّ... ووجدت الصخرة تقطر منها المياه نقطة بعد نقطة، حبات كبيرة مثل حبات الدمع من عيني عابدٍ يبكي مستنداً إلى جدار الكعبة.. الأمواج تتسارع.. حتى تتجاوز الصخرة وتصل فوق الشجيرات الثلاث وتنزل منها على التراب مثل المطر. الأشجار تنتفض كعصفورة بللها المطر. وبأزيز تطير أسراب النحل الأصفر وتحط مرة أخرى على الأغصان. قطرات تنزل واحدة بعد أخرى. النمل تتراكض إلى أنفاقها. ولا تلبث أن تعود إلى أماكنها.

النحل تجفف أجنحتها بتحريكها، وتأخذ القطيرات بأفواهها، ثم تلفظها في خلاياها. والنمل يجفف أنفسها بضرب أرجلها ببعضها، فتنشف، ثم تنتظم في صفوف باتجاه الغرب يقف كأنها ساجدة، ثم يدب النشاط فينتشر فوق التراب، والنحل تطير مرة وبلحن أجش ترتفع نحو جزيرة (كُنّ). تجعل الشمس هدفها، ثم تنحرف قليلاً نحو اليمين وتذهب بعيداً.. سرب يروح.. يغدو وسرب وهكذا تبدأ الحياة في مملكة النحل كل صباح وهكذا تستمر الحياة!!.

فلا خصام ولا احتكاك، الكل أصدقاء، وكل يقوم بواجبه، والكل راض عن حياته، فلا حقد ولا خصومة ولا نفور؛ لا ضجر ولا ألم، حياة كلها سرور وجد، والنتيجة النافعة بعد كل عمل...

تختص النحل بما فوق التراب وأغصان الأشجار والأزهار كما تختص النمل بالتراب وما تحت التراب، تستمران في العيش مثل جارتين.

وخلال تأثير الرياح الموسمية تكون النمل في أوكارها، والنحل في شقوق الأحجار في حالة النوم والانتظار. فإذا انقضى الموسم، دبت فيها الحياة وهي أكثر نضارة وتجاوباً، فتئز وتطير.

والرياح الموسمية في هذا العام جرفت إلى جزيرة النحل قواقع الحلزون.. ولما بدأت النحل تتخذ من هذه القواقع بيوتاً لها حدث انقلاب في مجتمعها. فلم تعد تصرف كل ذلك الجهد لتبني البيوت أو تصنع الخلايا. فقوقعة واحدة لحلزون كبير يمكنها أن تقوم مقام خلية. وليس على النحل إلا تنظيف هذه الحجرة الحلزونية الدهليزية وقلبها إلى وضعية

لا يدخلها المطر.. وقد يستغرق تنظيف قعر هذه الخلية العملية وقلبها ساعات عديدة.. فالنحلة تتفوق بعملها هذا على عامل منجم الفحم.

هذا الابتكار أو النعمة الإلهية أفرح النحل كثيراً. ففي يوم التاسع والعشرين من مايو (أيار) من كل عام تستيقظ مبكرة. ومع طلوع الشمس تبدأ بالدعاء الجماعي، وتولي وجهها نحو القبلة بتوجيه من دماغها، وترفع الشكر لبارئها بغمس أرجلها في ماء البحر.

وفي نفس الوقت، ترمي ببعض العسل المجتمع لديها إلى أوكار النمل كي تدخل عليها السرور.... ولم يمض وقت طويل حتى انتشر هذا النموذج من العش بين كل النحل في العالم، كما أقيمت الأفراح مع العاملات القادمات إلى مملكة النحل من الجزر والبلدان الأخرى..

كانت نهاية شهر آيار/ مايو. حيث فقدت الرياح الموسمية شدتها، وسكت المطر، واغتسلت كل الأغصان وكل حبات التراب، وفتحت صدورها لأضواء الشمس اللامعة. وتفتحت الزهور زهرة بعد زهرة تنتظر النحل، تضحك، تستقبل النحل بضحكاتها. والنحل ترى الخضار رمادياً لذلك فإن هذه الجزيرة الخضراء بدت تحت الشمس كعين رمادية. وعيون النحل - وبها أكثر من ستة آلاف عدسة - تستقبل إشارات وموجات ضوئية من الزهور. الإشارات الصادرة عن العسل تطرب النحل وتأخذ بألبابها.. هل رأيت طرب من جذبه الحب الإلهي؛ أم هل رأيت الشهيد الذي يعجل إلى ربه ليرضى؛ أو هل رأيت العاشق يطوي الجبال للقاء حبيبه، فكذلك النحل تطرب وكذلك تسارع، وكذلك تطوي مدى البحار إلى جزيرة (كُنْ) غير

المأهولة، إلى جزيرة الأفاعي والفئران... تحط على كل الزهور، تقبلها وتداعبها، وتأخذ رحيقها، وتجعل غبارها كرات برجلها وتعود..

وبأزيز رئيس السرب ترتفع سلسلة النحل فوق جزيزة (كن)، وبعد طيران قصير تصل إلى مملكة النحل. تدور دورة فوق الصخر وتكتشف الأشجار، ثم تنزل نزولاً سلساً على الأغصان، وبعد استراحة بضع دقائق هناك، تحط على الأعشاش وتملأ الخلايا. وبغبار الطلع الأصفر المتكتلة بأرجلها تغلق الخلايا الممتلئة وتختمها. وتبلغ ملكة النحل عن الخلايا الممتلئة، فيأتي وكيلها ليذيل الخلية بتوقيعه..

أما النحلة التي ختمت خليتها فتستعد لرحلة اليوم التالي وهي في فرحة غامرة، وتضع النقاط على مكان الخلية الجديدة بالأوراق الخضراء الممضوغة، وتصب الأرضية وتخط حولها دائرة ملحية بماء البحر، لتستعصي على قمل النحل من أن تخترقها. وعلى هذا الأساس فلا تعيش الكائنات الضارة المعروفة بقمل النحل في مملكة النحل منذ الخليقة، ولا يتعرض العسل للفساد ولا يصيب النحل مرض أو سقم. وهكذا يحقق سكان مملكة النحل الصحة البدنية إلى جانب الصحة النفسية فهم سعداء مادياً ومعنوياً. والأمن الداخلي مستتب، فليس هناك تسلل خارجي أو اختراق أمني.

إلا أنه خلال ثورة البناء في قواقع الرخويات ظهر نوع من عدم الانسجام لكن تم تجاوزه: ذلك بأن ملكات النحل لهن أقسام خاصة بهن في الخلايا. ويضعن بيوضهن في الخلايا الأخرى، فلا يلبث أن يخصبها الذكر، فكانت التواءات القواقع تعرقل دخول وحركة ذكور

النحل، فتبقى بعض البيوض دون تلقيح، وما لبث أن وجد أحد الذكور حلاً: بحيث لا تخزن في هذه المساكن الجديدة سوى البيوض التي ستقضي فيها فترة الشتاء، أما بيوض التفريخ الصيفي فسيوضع في الخلايا كما هو معلوم.. هذا الاكتشاف أدى بهذا الذكر لأن يكون سيد الذكور، وخول صلاحية الإخصاب مدة عامين. ذلك أن الذكر الواحد لا تتجاوز مدة إخصابه عاماً واحداً، ثم يطير وينتهي بعيداً، فيظهر مكانه ذكر من نتاجه. وهكذا فإن الذكر الجديد سيقوم بعملية الإخصاب بعد أن يكتسب خبرة عام واحد. مما كان له تأثير على الحياة، فانتهت عافية الذكر الجديد بالانتظار، فاعترى ميزة الكفاح في جيل النحل شيء من الضعف، فهل كان ذلك انحرافاً بسيطاً في النظام الأزلي؟

فهذا هو سبب كل ما سيحدث، وتقع مملكة النحل في قبضة الاحتلال.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾ (١١)
[الرعد]

النكبة الأولى :

الجو صحو كعادته، والسماء صافية والهواء عليل. الجزيرة تعج بساكنيها العاملات والملكات والذكور.. فقد اجتمع كل فئات النحل. الشجرات الثلاث بدت وكأنها عرائس، وسرحت شعورها، ولبست حلة من النحل الأصفر. أسراب تطير وأسراب تحط وهي تئز وتعج.

الربيع أشرف على نهايته. وأزهار آيار/ مايو في قمة تفتحها. أزهار الصيف براعم تتفتق، النحل الكتبة على الصخرة السوداء يكتبون سطراً. ثم يمحونه ويكتبونه مرة أخرى، ومراقب يراقبهم. فيضيف حرفاً في السطر. وأسراب النحل التي تقلع من الأشجار تطير وتقرأ ما كتب، ثم تعود إلى أماكنها، فالكتابة كانت في هذا المعنى:

«إخصاب قليل وعسل كثير!..»

لم تقدر كل نحلة أن تفهم هذا، لكن كل نحلة تنتظر النهاية بالانضباط المعروف لدى النحل. وتفكر بالعودة إلى العمل عند انتهاء الحفل . وتنتظر في مكانها بكل احترام خروج ملكة النحل حتى يبدأ الحفل. وعادة في مثل هذا الجو الجميل تتراءى كل الجزر المجاورة. ويتحسس سكان الجزر المجاورة وضعاً طارئاً في مملكة النحل. إلا أن

الأفاعي والعقارب في جزيرة الأفاعي، تتسلق أعلى الصخور وتراقب جيرانها بصورة أكثر تحفزاً، وكأنها تنتظر الأخبار الواردة من هناك.. الوجوم يسيطر على جزيرة السلاحف والفئران. أما جزيرة الزهور ففيها عشق غريب:

الزهور كأنها ضاعفت من تفتيح عيونها للشمس هذا الصباح. ولعلها تنتظر النحل. لتأتي وتدغدغها، فتقدم لها شيئاً من عصاراتها الحلوة. نعم، تنتظر وكأن كل واحدة منها عاشقة حسناء. ولكن لا أثر للنحل، لم تفد إلى محبيها جملة أو فرادى. يكاد يغشى عليها من القلق. وما من واحدة تغدو لكشف مصادر العسل. مع أن هذه الزهور أعدت هذا الصباح أزكى ما عندها من العسل لحبيباتها من النحل.

ومادرت زهور الأقحوان والياسمين والنرجس بوريقاتها الصفراء والبيضاء والزرقاء والحمراء ما الذي جرى للنحل، وكيف لها أن تعرف بأن النحل على مفترق الطرق؟

لم تمت النحلات الحبيبات بل لعلها في عيد للموت. كان ذلك عيداً ولكن أبكى بعضها، وأضحك آخرين. وعندما قرب وقت الظهيرة كانت الزهور قد تفطرت قلقاً وسالت عسيلاتها على التراب. وأسرع الجعل في لحس ما سال من خلاصة العسل فكان عيداً لهم. وأخيراً جاءت مجموعة من العاملات بعد الظهر. طافت حول الزهور زهرة بعد زهرة. تفقدتها وشمتها. وعادت من غير أن تكتشف العسل.. وعادت ولكن الزهور عرفت من همساتها أن اجتماعاً مهماً جداً سيعقد في مملكة النحل. وأن النحل على أعتاب حياة جديدة، بأمر من الملكة. وأن

مجموعات النحل لن تزور جزيرة النحل بعد هذا. لأنه تم صرف النظر عن التوالد والتكاثر. وهذا الاحتفال هو أن ملكة النحل «ستحدد النسل بإرادتها. وأنه لن تنجب كثيراً بعد الآن، وستعمل قليلاً وتأكل كثيراً. وأن تخزين مزيد من العسل في الشتاء أمر صعب، فهي ستقلل من عدد السكان كي تتحقق السعادة والرخاء في الجزيرة.

من الطبيعي ألا تفهم الزهور الحالمة والوالهة أسباب ذلك ومبرراته، ولا تقدر على التفريق بين منافعها وأضرارها. لكن جانباً من ذلك الأمر يهمها، وهذا هو سبب شعورها بالمرارة. فالزهور التي تفطرت من القلق، ذبلت كدراً قبل أن ينتهي النهار. واصطبغت الجزيرة بلون باهت. فكأن المهرجان في مملكة النحل أعلن الحداد هنا. ذلك بأن الزهور أصبحت في وضع لم تعد جماعات النحل ذات الألوان المختلفة والنغمات المتعددة والأجنحة والرؤوس المتميزة، تأتي كل زهرة على حدة لتداعبها وتدغدغها ثم تقبلها وتولي هاربة!! ولهذا السبب فإن تلقيح الزهور سيكون أمراً صعباً. ستنتظر عشرة زهور كي تأتيها نحلة واحدة تأخذ منها غبار الطلع وتحملها إلى أنثاها.

فيا للحسرة، ويا للغرابة، ويا للويل!



ولكن هل كانت مملكة النحل كذلك؛ فلا احتفال ولا عرس، ولا رقصة النحل التي تشمل الصغير والكبير والملكة على حد سواء، ولا أناشيد ولا أغاني... ولا الطيران الجماعي. من صخرة الكتابة إلى الشجيرات الثلاث ومنها إلى أفق البحر ثم الارتفاع إلى الأعالي.. ثم

الانقضاضات الفجائية. وكالعادة كل نحلة تبحث عن مكانها المحدد، وتبدأ قافلة أخرى بالطيران... ويسيل العسل من الخلايا للنمل. فتشترك في العرس وتتسابق إلى البحر. فتغمس أرجلها وتدعو! وبلحظة تجد بعضها تضطرب فتزل قدمها فتقع في الماء، وتسارع النحلات العاملات فترمي لها بالأعواد!، وتنقذ أطفال الجيران، من صغار النمل. وتطير النمل ذوات الجناح فتشترك في الاستعراض. حتى إن مِنْ يافعي النمل مَنْ يتسلق الشجر ليصافح يافعي النحل.

الحقيقة أن بلوغ هذا الحدد ممنوع. فملكة النحل لا تنظر نظرة الرضا نحو مثل هذه التصرفات المنافية للحشمة. لكن العرس جعل العيون كليلة من أن ترى العيوب، كما أن ملكة النحل مشغولة في وكرها بإعداد الأوامر: فهي في الخلية التي أعدت خصيصاً في حفرة بالجانب المستوي من صخرة الكتابة.. السوداء المدببة تتناول فطورها من حليب النحل، وانهماك في الرقص وتلخيص أفكارها الثورية وتشكيل سمفونية موسيقية.

وحان الوقت. فمنتصف اليوم هو وقت العبادة حسب توقيت النحل. فلا احتفال للنحل إلا بعد أداء واجب الشكر للخالق. وهذا هو السبب في تأخر الاحتفال إلى الظهر.

توجهت ملكة النحل نحو الجمع، فوقف جميع من في المناوبة على قوائمهم الخلفية مصفقين بأجنحتهم. وبدؤوا معاً في أداء نشيد.. انتباه.. الملكة!! تعودوا أن يؤدوا جميعاً هذا النشيد عند خروج ملكة النحل وهكذا كان. وأزت ملكة النحل. فخرجت من وكرها وسرحت

بنظرها على من حولها وجربت أجنحتها. وانتصبت على قوائمها الخلفية وبدأت بالرقص. وبعد قليل أطلقت صوتاً جهورياً وطارت فطافت حول الجزيرة وأجرت كشفاً على جميع أفراد النحل ثم عادت وحطت على أعلى نقطة في الصخرة. وأصدرت أمرها:

استعدوا للتعبد..

استوى كل الأفراد. ومرروا بقوائمهم الأمامية على رؤوسهم، وأجروا عملية التنظيف، ثم عادوا فانتصبوا على قوائمهم الخلفية، فهتفت ملكة النحل:

شكراً للخالق وما أعطى!..

- فرددوا جميعاً وبصوت واحدا:

- «شكراً للخالق وما أعطى. والعمر الطويل لمليكتنا..

واستمرت العبادة دقيقتين. فكل الأفراد يطيرون مع ملكة النحل يرتفعون عشر سنتمترات ثم يحطون مكانهم وتشرئب أعناقهم لتقرأ الألحان.

وفي هذه الأثناء اصطف النمل حول النحل يغمس ارجلها في البحر ويشترك معها في العبادة. وعند انتهاء التعبد، طارت الملكة فعادت إلى مكانها. رافقها هذه المرة عشر من العاملات ثم اكتمل العدد بالمئات والآلاف. طيران جماعي في طبقات صوتية مرتفعة دام ساعة.. تردد صداها في الآفاق، ثم جاءت الملكة فحطت على الخلية الاحتفالية في أعلى نقطة من الشجرة الوسطى. وأخذت كل نحلة مكانها، وتدافعت

النمل إلى أوكارها. هكذا كانت التعليمات. وكان على النمل ألا تستمع إلى الحديث.

بدأت الملكة حديثاً ولما تكمل بعض اليافعات النزول من الشجرة، أكملت الملكة خطابها القصير، وسمعت ذلك النمل فبقيت مختبئة بين القشور.

أعادت الملكة قراءة خطابها ملحناً، وكرر جميع النحل هذا اللحن. وكانت نهاية الاحتفال، وصارت تترسخ في قلب كل نحلة معاني هذا اللحن.

هذه الأوامر لا تهم العاملات كثيراً، لكنها أزعجت الأمهات واليرقات المرشحة لأن تكون ملكة النحل. وفي لحظة التقت يرقتان وجهاً لوجه، ونظرتا إلى بعضهما نظرة أسى ولسان حالهما يقول:

- «ستكون نهاية ذلك مفجعة».

وكانت الملكة تقول:

- .. «إنجاب قليل وعسل كثير. وبلاد سعيدة،، وإخصاب واحد في عامين. لا تتعبوا العاملات ولا تتعبوا الأمهات، فجزيرتنا صغيرة وجزيرة الزهر بعيدة. وإذا كان الأكلة قليلين فالطعام يكفي. غذاء وفير وجيل قوي. يجب أن نعيش الحياة...»

كانت نصيحة جميلة نوعاً ما. لكنها لا توافق القانون الأزلي للنحل فالنحل تعمل كثيراً وتتكاثر بسرعة، وتأكل قليلاً وتنام قليلاً.. لكنها تحمي بلادها. ولا تضيع تراثها وحريتها ولا تسمح للغير أن يستعمرها.



لكن القدر لا محالة واقع. فإنها من اليوم الذي بنت خلاياها في قشور الرخويات قررت أن تكون الملكة لعامين، ذلك بأنه عندما سهل على ملكة النحل تحقق أمر الخلية بيسر قررت رفع صلاحية الإخصاب إلى عامين. وعندها حدث ما حدث فإن بقاء ملكة النحل عامين يعني موت اليافع المرشح لأن يكون ملكة أو الانتظار عاماً آخر. فمقتل الذكر الشاب أحدث مرارة في قلوب الإناث.

أما الانتظار فيزعج الملكة. فالطريقة الجديدة، ولدت مشكلة جديدة أمام النحل. وقد أقيم الاحتفال لحل هذه المشكلة. ولهذا السبب كانت الملكة العجوز تطلق أوامرها الصارمة بذلك الصوت الثخين.

والواقع فإن قوة الاخصاب لم يعد له وجود في الذكر المخضرم. لأن القوة الطبيعية التي منحها له الخالق تستمر عاماً واحداً. وكان هذا القرار خطأ مناقضاً للفطرة. لكن ما العمل فقد وقع سكان هذه المملكة في الفخ. فمن سيصلح هذا الخطأ، لا زال الوقت مبكراً لتبين ذلك، لكن التدبير الذي اتخذته ملكة النحل يعتبر حلاً ظاهرياً مؤقتاً، إلا أنه بمثابة جرح آخر أكثر عمقاً بالنسبة لمملكة النحل. حتى إن ذكور النمل لما سمعت بذلك علقت عليه قائلة «علامة يوم القيامة» لأن فساد التقاليد عندهم يعني نهاية الجنس..

من جهة أخرى فإن النحل من ذكور واناث من نتائج الملكة العجوز باتت صغيرة وضعيفة البنية. فقد صار اتخاذ التدابير أمراً ملحاً وما لبث أن رضخت النحل لما يتخذ.

وهذا هو البيان الذي أعلن في الاحتفال:

سيحدد النسل، ويستعاض عن التكاثر بإنتاج العسل. سيكون عدد السكان قليلاً، وسيتم تخزين العسل، ويعيش سكان المملكة في سعة صيفاً وشتاء. ولن يعدموا العسل حتى في الأعوام التي تموت فيها الزهور بفعل الرياح الموسمية. وقد يمكنهم أن يمدوا الجزر المجاورة بالعسل مقابل العشب الأخضر.

وقصارى القول فقد كان البيان مغرياً ومراً في وقت واحد، لقد سرى الحزن في قلوب العقلاء من النحل.. لكنهم عادوا إلى العمل والأسى يملأ قلوبهم.



«إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»

(حديث شريف) أخرجه البخاري،ج١

مرحلة الركود

الأمل يغذيه الإيمان، والفرحة يغذيها الأمل، أكبت العاملات على العمل. وعادت الحياة إلى طبيعتها، واستمرت إناث النحل في صنع العسل والإخصاب. ولكن بدا على العاملات الارتخاء والغمة. فكانت تشتهي فقط أن تذهب إلى مملكة الزهور التي كانت تعرف بجزيزة «كن». ولم تكن تعجبهم جزيرة السلاحف «السور»، ولا «جزيرة (الثعابين إبليس»، ومرور أجدادهم على هذه الجزر وتزودهم بالماء العذب والدم، وصبغ العسل بلونهما أضحت حكاية بعيدة التصديق.

ثم إن الذين يضلون الطريق فيمرون على جزيرة إبليس لا يلبثون أن يكونوا صيداً سهلاً للعقارب والعناكب. يستجوبونهم أولاً، فيحصلون على معلومات عن مخازن العسل وقلة عدد السكان، ثم يحدثون فيهم علة أو يقتلونهم، بعضهم نجح في العودة إلى مملكته بالرغم من انكسار جناحه ليبلغ بتدبير الجواسيس من العقارب الذين يقيمون في جزيرة إبليس، ويأتمرون بأمر الأفاعي لاستعمار مملكة النحل. ولذلك فإن النحلات العاملات لا يفتأن يطرن من خلاياهن من الجهة. نفسها. كما أن كشافي العسل من المراسلين ينصحون بتلك الجهة يقوم المراسلون داخل الخلية بمسيرة طولها (١٢) سنتيمتر يلفون نحو اليمين، ثم

يمشون بنفس الخط. هذه المسيرة كانت رقصة النحل الموسيقية التي تضع عاملات الخلايا في حالة طوارئ. وهي عادة متبعة لدى النحل منذ القديم. فالمراسل الذي يجد مصدر العسل في مكان ما من الخلية يبادر بالنزول في خلايا النحل ويبدأ بالأزيز السريع، فيوقظ كل من في الخلية، ويجعلهم ينتبهون إليه. فتترك العاملات جميعها إنشاء جدار الخلايا، وتعبئة حجرات العسل وختم جوانبها.. تترك كل شيء لتتابع ما يفعله المراسل. وبعد أن يحقق المراسل ذلك، أي بعد أن يجذب انتباه كل من في الخلية إليه، يبدأ بالرقص فوق خط معين. مستقيم وفي اتجاه واحد، يمشي منتصباً على قوائمه الخلفية. ويحرك أجنحته أثناء المشي ويعزف موسيقا الرقص. يتقدم وعندما يقطع مسافة معينة يعود من اليمين أو اليسار. وطول هذا الخط يتناسب دائماً مع مصدر العسل أو مع المسافة بينها وبين مكان الزهور، فمدة الطيران هي الثواني التي يستغرقها في قطع هذا الخط وهو في حالة الرقص. ثم يستدير نحو اليمين أو اليسار فيحط عمودياً في منطقة الزهور. ولتفادي الانحراف في الطريق يطيرون دائماً في انفراج معين مع الشمس أي أن سرب العاملات عندما تنطلق نحو الجهة المعينة تحدد الانفراج بين تلك الجهة والجهة التي فيها الشمس. وتحافظ على ذلك الانفراج أثناء طيرانها.

وأثناء هبوب الرياح العاتية لا يسمح بالطيران. أما الجو الغائم فلا يعد مانعاً. لأن عيون النحل التي تتركب من (٦٠٠٠) عدسة يمكنها أن ترى الشمس بسهولة من خلال الضباب أيضا.

هكذا كانت الحياة في مملكة النحل. أما الآن فقد بدأت الرتابة. وبدت كل العاملات في حيرة. حفظت اتجاهات ومسافات جزيرة «كن». ومع شمس الصباح وانتهاء الطقوس الجماعية تطير أسراباً أسرابا نحو مملكة الزهور. الخلايا تخلو، وقبل أن يحل المساء تبدأ العودة ويستمر الأزيز في الخلايا إلى أن يحل الظلام. ونفس الوتيرة في نشاط اليوم التالي.

لكن هذه الرتابة كانت محسوسة. ولكأن الزهور بدت تقرأ الرتابة في عيون العسل. فلا تجد في عشاقها فرحة اللقاء. كما أن أعدادها بدأت تتناقص. أين تلك الجموع وهي تنزل كالعاصفة ثم تعلو؟ وقد كانت الزهرة الواحدة تتلقى قبلات عشر نحلات في لحظة واحدة. فالزهور كانت تشعر بالمتعة الغامرة فتلقي ما بها من رحيق في أفواهها..

ومع ذلك فهي راضية ... أليس هناك نحيلات تحب الزهور، تأتي إليها ولو مرة في اليوم فتداعبها. ولا تجعلها تتفطر من وطأة الانتظار. ولا ترى الحشرات السوداء القذرة تتسلق أغصانها...

ذلك اليوم التاريخي بقي ذكرى أليمة لا يحن أحد إلى تكرارها.. إنه اليوم العظيم الذي أعلنت فيه ملكة النحل تحديد النسل، ومن خلال التهامس بين الزهور والنحل يجري الحديث عن تلك الملكة فيقول عنها أكثرها: إنها «الثوري الكبير». لكن بعض العاملات يبدو عليهن العبوس. وتتهامس فيما بينها، وما أمكن أن تسمعه الزهور هو أن قرار تحديد النسل من تلك الملكة أي أن منعها الإخصاب في العام التالي أدى إلى الارتخاء في المملكة..

هل كانت العاملات مثل الزهور؟ فالزهور بعد يوم من الفراق التقت بنحلاتها فقد كان سهلاً عليها أن تتكتم على ذلك اليوم باعتباره ذكرى مشؤومة. لكن العاملات تمارس عملها وهي تحس بحسرة في أعماقها. فتموت وهي على تلك الحال. لقد انخفض العدد وضعفت الأفراح في البلاد. حتى إن عدد النحلات المحاربة لم يعد يكفي لحماية المناطق الساحلية. فكان العاطلون عن العمل من النحل الأصفر يقومون بأعمال التسلل وامتصاص العسل. وأغلب الظن أنهم كانوا أيضاً يقومون بنقل الأسرار إلى الجزر الأخرى.

وخلال التناجي بين النحل والزهور لا يلبث أن يكون الماضي حديثها، فلسبب ما كانت ذكريات الزهور تنبع من الماضي، أما النحل فكانت تتراءى أمام أعينها دائماً ما سمعته من أجدادها. فتتسع الحدقات الضخمة في ذلك الرأس الضخم لتسمع ذكريات الماضي. وكانت الكتابات التي على الصخرة المدببة تنعكس فجأة على مخيلاتها.

«إخصاب قليل وعسل كثير!!»

كانت النحل راضية بحالها بعض الشيء. فهي تخرج في الصباح وتعود في المساء وتملك القدرة على صنع عسل الشتاء بكل سهولة. كما أنها تملك القدرة على رمي الشهد المتعفن إلى جيرانها من النمل. ولكن ما معنى هذا؟ ثم أين عهود البطولة التي تحدثوا عنها؟ وكيف يتجرأ أولئك العاطلون عن العمل من النحل الأصفر على التسرب إلى جزيرة النحل بين وقت وآخر؟ ولماذا لا تستطيع الذهاب إلى جزيرة الأفاعي لتعود برحيق مختلف المذاق. أين تلك الأيام التي كانت تحط بها على

ظهور السلاحف؟ لماذا لا تقدر الأجيال الجديدة على فعل ذلك؟... كلها أمور لا تقدر العاملات على التفكير فيها لتجد لها حلاً. كنت تجد بعضها تحاول البحث عن علاقة مع ذلك التجديد فلا تستطيع الحل. وإذا تجرأ بعضها على الحديث عنه، فلا يلبث أن يتعرض لإسكات النحلات البياضة..

ويوم آخر من الأيام المشمسة. لا أثر للرياح. الزهور ساكنة. لقد جاء البشير مبكرا. ليخبر بمصدر العسل. واتباعاً للعادة - مجرد اتباع للعادة - كان الإصغاء إلى لحنه. وذلك لأن جميع العاملات، حتى أصغر عاملة فيهن، كانت تعرف المسافة والزاوية كما تعرف نفسها. وليكن كذلك. وبدأ الطيران، وتم الوصول إلى أفق جزيرة «كن». وأكبت حفنة من العاملات العمل تنتقل من زهرة إلى أخرى. ولكن لا يمكن أن نقول عن ذلك بأنه جمع رحيق. الزهور ممتلئة من جهة، كما أن أيدي وأرجل النحل مليئة. كانت تنتقل من هنا إلى هناك إرضاءً للزهور فحسب..

عاملتان.. لا زالتا في مقتبل العمر كانت تحدثان أقحوانة. كانتا شقيقتين من خلية واحدة. الأقحوانة يضحك بملء شدقيها. والنحلتان مسرورتان. أكلتا وشربتا ثم زودتا أرجلهما بغبار الطلع الأصفر وانتقلتا إلى الأقحوانة المجاورة. أخذت تلك الأقحوانة الأنثى غبار الطلع وأخصبت. وعند الإخصاب قالت: «بذور كثيرة وأقحوان كثير في الصيف».

تذكرت العاملتان الفتيتان تلك العبارة التي على الصخرة المدببة «إخصاب قليل وعسل كثير»!! تبادلتا النظرات ثم طارتا وحطتا على

زهرة ياسمين. أوشكت الياسمينة على الإغماء من شدة فرحتها، ومضى وقت طويل كي تعود إلى طبيعتها. فلم تستطع أن تثرثر. وفي تلك اللحظة تكلمت العاملتان الشقيقتان تحدثتا طويلاً.. وتواعدتا.. وتعاهدتا.



عن ماذا تحدثتا.. لندع كل ذلك جانباً، أما ذكرياتهما فكانت شيقة:

.. أين تلك التقاليد القديمة عند النحل. فإذا جاء البشير سكت كل من في الخلية، يستمعون إلى موسيقا البشير سلَّما بعد سلَّم، ولا يتخطون حركة إلى غيرها. فكل حركة تعد أول الخيط إلى مصدر العسل. سرعة الرياح والمزالق والمرتفعات التي على الطريق، والأشجار المعوقة والخضرة. ونقاط التحريف التي وضعها النحل الكاذب العاطل عن العمل، يتم توضيحها جميعاً. ومع انتهاء الرقص تكون العاملات قد اصطفت استعداداً للطيران. تئز داخل الخلية وتدور، وتجري تمرينات الطيران بأجنحتها. أما فوهة الخلية فتشبه مطار (جدة) في موسم الحج!!. فالنحلة منها تئز في لحظة وتنطلق في الأجواء، وفي لمح البصر تسيطر الأجنحة الصفراء على الأفق. ويتردد أزيز لطيف الجرس في جنبات الجزيرة. وعند مغادرة الصخرة المدببة تتم ملاحظة الشمس ومعايرة الاتجاه للمرة الأخيرة. فإذا كانت هناك رياح خفيفة حطت ألوف مؤلفة من النحل على أغصان الشجرات الثلاث.. حسناوات الجزيرة، وعزف لحن قصير، تتم أثناءه معايرة الأجنحة للرياح، ثم الانطلاق..

والنزول إلى مصدر العسل، يا إلهي! ما أحلاه من منظر!! ففي أهدأ الأحوال كنت تجد الزهور وقد تمايلت على شكل أمواج البحر. ليس من الرياح طبعاً، إن ميلها بسبب نزول النحلة على زهرة والإقلاع منها. وتكتمل الحمولات خلال وقت قصير، وتقلع القوافل فرحة مسرورة. وتلتقي الوحدات في الطريق لتكون معاً خلال الطيران فوق البحر، فإذا ما ظهرت الصخرة المدببة، انفصلت المجموعات، وهدأت من سرعتها، وبدأت بالنزول كل حسب دوره. أما في خلال هبوب الرياح فالإبطاء فوق سطح الماء من دواعي الخطر، لذلك فإن الهبوط الجماعي يتم على الشجرات الثلاث، ومن ثم الفرز إلى الخلايا.

هذه النحلات الفتيات كانت تعرف هذه الأمور من الكتابات، ومن حديث النحلات المسنات، استمرت إحداهن قائلة:

«ثم أين ذلك الأمان. فما كنت تجد نحلة صفراء واحدة في أفق الجزيرة. إذ يتم القبض على العاطلات لتقوم بتنظيف الخلايا من القمل. والآن يقال: إن العسل وفير، ولكن لسنا بآكليه، فالقمل هي التي تأكله من الأسفل. والنحل العاطل يأكله من الأعلى. والباقي يفسد. ومن طبيعة النحل ألا تأكل مازاد عن حاجتها..

«ثم أين تلك الأعياد»؟! قالتها العاملة الأخرى، كم كانت عظيمة تلك الحفلات؟ أما الآن فالأعياد مثل أيام الحداد. وإذا سألت عن الحرب؟ فأين هي؟ وإذا تعرضنا الآن لاعتداء فماذا نعمل؟

جلستا معاً. ثم خطرت ببالهما جزيرة الأفاعي. لقد فكرتا معاً في القيام بعملية نزول في تلك الجزيرة الإبليسية. وإذ بهما تتفوهان معاً

بالجملة ذاتها، وما لبثتا أن طارتا. أرادتا أن تعرفا سبب العزوف عن عادة التردد إلى تلك الجزيرة. ومع ذلك فإن في أحلامهما تلك العهود الخالية للنحل:

«كم كانت فترة التوالد مهيبة؟ في كل غصن من أغصان الشجرات الثلاث يتدلى عنقود. والجزيرة تتمايل مع أمواج البحر طربا، كانت تتردد صدى الأصوات الفتية، أصوات إيمانية تسمعها من النحل في جنبات تلك الجزيرة وكأنها هدير الحجاج وهم يطوفون حول الكعبة!! تنتشر النغمات على سطح البحر بعد اصطدامها في الجانب الحاد من الصخرة المدببة. وكانت ملكة النحل تخرج من خليتها كي تشهد هذا الاستعراض. وبنو البشر يقصدون سواحلها بقواربهم ليستمتعوا بمشاهدة أعياد النحل في هذا الموسم.

وبعضهم يلف يديه ووجهه كي يأخذ بعض الخلايا. فيبدأ الهجوم من الخلايا الأخرى فلا يلبثوا أن يولوا هاربين.

وإذا كان هناك عناكب أو عقارب تشبثت بالساحل حتى وصلت، فلا تمضي لحظة حتى يسقط مئات الشهداء هنا. فتتدافع نحلات الطلائع، إنها فدائيات تبذل إبرها وتموت. تنطلق في موجات وتجري مسحاً شاملاً على الشريط الساحلي وعلى الآفاق...،

في معمعة هذا الخيال وصلتا إلى جزيرة إبليس. جالتا في الأفق، كان يستحيل عليهما رؤية من على الأرض. لأن العقارب والأفاعي اختبأت بين الأعشاب. على أمل أن تأسر النحلتين. وبدت الأرض شهباء

في عيون النحل. وبدا أن لا أثر للأفاعي والعقارب أخضرها وأحمرها..

ومع ذلك فقد أخذتا جانب الحيطة، وحطتا على شجرة عرعر. لتراقبا التحركات. تحطان بعدها على الزهور لتنقلا نوعاً مختلفاً من العسل إلى مملكتهما. هاتان النحلتان الشقيقتان.. النحلتان الفتيتان كانتا تأملان في تلك اللحظة نقل عطر يعود عهده إلى الأجداد الأماجد.

وحطتا على شجرة ورد ذات ثلاثة أغصان. الزهور كانت تطلق الضحكات من شدة الفرح. لقد جاءت النحلات. ذلك بأن هذه الزهور كانت تشمئز من شباك العناكب وأذيال العقارب. وهل نسيت الأفاعي التي تلتف حولها كي تتكسر بين ضلوعها؟

«فما أسعد البرعمتين لقد تفتحتا هذا اليوم!! وما لبثتا أن حطت على أغصانها نحلتان...»

لكن أصحاب البيت الخونة تجمعوا. وبدأ عقربان كبيران بالتسلق. كما جثم ثعبان أسود فوق صخرة وجعل رأسه كالسهم، استعداداً للوثب على النحل وابتلاعها.

لكنّ النحلتين ضحكتا وحركتا أجنحتهما وطارتا، ثم حطتا على البراعم. واعترى البراعم فرح غامر. وذاقت النحلتان عسلاً. وابتسمتا في وجه بعضهما. وتضاعف الحقد والغضب لدى الأفاعي والعقارب في الأسفل. وما ينفع الغضب.. ومن يأبه بالأسفلين، فأجداد النحل بالأمس حطت عليها من عل، وأجبرتها على الاختباء

في جحورها، وقد يتكرر ذلك. خاصة وأن هاتين النحلتين الفتيتين هما من أحفاد أولئك الأجداد».

وبينما كانت النحلتان تكتمان فرحهما، حدث الشيء الذي أفزعهما، فماذا حدث؟ هبطت عليها شباك. وفي لحظة عرفتا ما حدث. وساعدتهما البرعمتان فتدلتا إلى أسفل فبقيت الشباك معلقة على الغصن. فالعنكبوت قد أرسل شباكه في محاولة منه أن يأسرهما ويقتلهما كما أسر العاملات الضائعات من قبل. ولعله أراد استجوابهما وشلهما. شكرتا الخالق، ولجأتا إليه بتحريك جناحيهما. ولم تنسيا إلقاء التحية للبرعمتين، فنادتا من بعيد «سنعود مرة أخرى بأسراب كبيرة. فعسلنا بات كثيراً وصرنا أقوياء. ولن يقدر العنكبوت على أسرنا بشباكه...» وعادتا إلى العنكبوت، وقالتا له: « ربنا أوحى إليك أيضاً!! ويبدو أنك صرت للأشرار نصيرا! لقد أفسدتك مملكة إبليس...» ثم طارتا.

وفي مساء ذلك اليوم عادت النحلتان إلى الخلية متأخرتين. وتعرضتا للاستجواب لأنهما خالفتا تقاليد النحل. لكن ما أفادتا به من أخبار جذب انتباه كل نحلة. ووصل الخبر إلى ملكة النحل، كانت هذه الملكة فتاة نشيطة لم تتم العام الأول من عمرها استمعت إلى الخبر، ودعت كل سكان الجزيرة إلى العبادة في الصباح الباكر. وذلك لمناقشة الوضع.

وفي اليوم التالي نزلت كل العاملات إلى التراب وغمست أرجلها في البحر. وعادت فوقفت صفوفا في اتجاه القبلة وظهرت الملكة، وكانت جميع النحلات على أغصان الشجرات الثلاث.

بدأ اللحن. فأكبت النحل على وجوهها، ووضعت رؤوسها على التراب. وفكرت فيما تتخذه من تدابير في مواجهة الخطر القادم، واستغرق التعبد والتفكير طويلاً. كما استغرق الدعاء طويلاً. رقصت كل نحلة وأبدت رأيها. فمنها من قالت إن «كل القضية عبارة عن حماية العسل الذي يملأ المخازن من المهاجمين»، ومنها من اقترحت «إنشاء مخازن جديدة»، وتم بحث حلول مثل «إنشاء خلايا فوق الصخرة، وتعيين حراس في السواحل» ولكن كل شيء كان متوقفاً على الجنود من النحل. وتقدمت الملكة وعزفت لحناً بصوتها الجهوري معلنة ما يلي:

«سأملأ الخلايا جميعها بالبويضات لعامين متتاليين»

وطارت مجموعة من العاملات نحو الصخرة المدببة. ولحست الكتابة القديمة:

فغيرت عبارة «إخصاب قليل، وعسل كثير» لتكون «إخصاب كثير وعسل كثير».

فرحت النحلتان الشقيقتان، لكنهما تمتمتا قائلتين: «قرار متأخر» فالتغيير في الكلمات كان كبيراً، ولكن الخطر بدا وشيكاً...



«لا تلدغك العقرب لطبيعتها العدوانية.. وإنما لضرورة تمليها عليها خلقتها وغريزتها»

(الشاعر سعدي الشيرازي)

الغارة الأولى - هجوم الثعابين

كانت تلكما النحلتان العاملتان محقتين. لأن خطة الثعابين كانت رهيبة وستهاجم خلال هذه السنة بلا ريب. فما نتاج هذه السنة من النحل؟ فالنحلات عديمة الخبرة ستغرق في الماء وتهلك عند أول هجوم... ناقش المجلس كل الاحتمالات ودرس الموضوع بكل تفاصيله.. إذ من المحال على الثعابين أن تقطع البحر سباحة، وكذلك العقارب. أما العناكب فيمكنها ذلك. حيث ذُكرت في كتاب البشرية، فهي تملك كثيراً من المهارات، وما يدريك لعلها تجعل من خيوطها شراعاً تجتاز به إلى جزيرة النحل.

وقد تصل متشبثة في مخابئ سرية من قارب صياد. لكن مغادرة الصيادين لتلك الجزيرة ومرورهم بهذه الجزيرة كان أمراً بعيد الاحتمال. أما عدا ذلك فيعني موت كل من يتثبث بالقارب.

استمرت الحياة في مملكة النحل وفق الأعراف والتقاليد شهوراً. فما زالت الزهور تنتقل مثل كرات صفراء في الأرجل. الخلايا تبنى، والحشائش الخضر تمضع لتشاد بها الجدران. رحيق الأزهار يمر بالحويصلة ليصير عسلاً. الخلايا تمتلئ به، ثم تطلى بعازل رقيق فتمر عليها الأختام لتختمها.

وفي الشهور الأخيرة قامت الملكة بإجراء تغيير بسيط آخر بعد أن تعسر الحصول على الماء العذب لقلة عدد العاملات. فقد كانت المياه العذبة في جزيرة إبليس، والنزول إلى الماء محفوف بالمخاطر، ويحتاج إلى أسراب كبيرة من النحل كي تطير في الهواء، وتكون حماية للعاملات التي تملأ الماء، من هجوم العقارب والعناكب والأفاعي. أما جزيرة السلاحف فبعيدة، وطيران كل هذه المسافة بهذا العدد القليل من العاملات يعرض إنتاج العسل للتوقف، فابتكرت الملكة الجديدة طريقة تحل هذه المشكلة:

تحلى مياه البحر بترشيحها في التراب وتنقيتها من الملح، ثم تستخدم. كان في ذلك تخفيف للمشكلة. لكن العسل شابه شيء من المرارة، فكانت اليرقات التي تتغذى عليه تصاب بالإمساك، ولا تلبث أن تموت.

ملأت الملكة في الأيام التي أعقبت قرارها التاريخي بالإخصاب كل الخلايا بالبويضات. وكانت العاملات قد أنشأت إلى جانب كل خلية للعسل خلية للبويضات استعداداً لهذا الأمر، غير أنها لم تهدم أبراج الملكة كعادتها، أي أن برج الملكة الذي يبنى بجوار الخلية يزال في بعض الأحيان فتبقى النحلات البكر في أوكارها وتصير عاملات تحت إمرة ملكة النحل. ولكن هذه المرة وبموجب صيغة «إكثار النسل» أنشئت الأبراج، وخرجت من كل خلية ملكة ولحقته النحلات الجديدة لتشكل خلية مستقلة. صحيح أن عدد النحل في البلاد قد زاد، ولكن ظهرت معها الحاجة إلى خدمات مستقلة في كل خلية. فكل ملكة مستقلة في

حكمها. وفوق ذلك لم تقدر أي خلية على تحقيق النجاح بمفردها. أدى ذلك إلى ضعف عام دب في المملكة، لأن الملكات لم ينجحن في إدارة شؤون خلاياهن، فضعفت قوة الدفاع عن البلاد. إذ إن قوة النحل تقاس بعدد أفرادها، وكان على هذا العدد أن يتبع ملكة واحدة...

في الأيام الأخيرة ازداد وضع الخلايا سوءاً. فقد تسلط على العسل المعتق أنواع من قمل العسل، كما بدأ الدود الأزرق يظهر فيه، فتفشى في العاملات إسهال شديد، كما أن تطفل الدبابير الصفراء وسرقاتها مشكلة أخرى أضيفت إلى المشاكل السابقة...

وقد أمرت كبيرة الملكات بإحاطة الخلايا بجدران من الشمع، وأوصت بتغطية خلايا البويضات بأوراق خاصة لإخفائها عن الأعين..

أعطت هذه الإجراءات نتائج طيبة. ولعل هذه الملكة أرادت أن تتخذ سلسلة أخرى من التدابير الإيجابية إلا أنها وجدت مقتولة في صباح ذات يوم. أمرت الملكة الجديدة بالبحث عن القتلة، وألقي القبض على دبورين تسللا خفية إلى الخلية بعد أن تنكرا بزي العاملات وقاما بدس سم العقارب في طعام الملكة وكان جزاؤهما الإعدام!!.

حكمت الملكة الثانية الجزيرة ثلاثة وثلاثين يوماً، فتحسنت الأوضاع سريعاً، وعادت الأمور إلى مجاريها. ولكن ما إن دارت عجلة الإصلاح وبدأت العاملات تعود إلى نشاطها المعهود حتى كثر عدد الدبابير الصفراء التي تغرر بالعاملات فصارت تتسلل في صفوف النحل وتشيع فيما بينها أن الملكة الجديدة خرقت قوانين النحل وتقاليدها.

وفي صباح ذات يوم ألمت موجة عارمة من الدهشة بالجزيرة:

وإذا بالملكة الحكيمة التي عمرت الجزيرة في ثلاثة وثلاثين يوماً ملقاة على الأرض بعد أن طردت من خليتها وملكة شديدة السذاجة تصدر في جميع أنحاء البلاد الأمر الآتي:

«نحو حرية أكثر في مملكة النحل»

كانت الطاعة واجبة في نظام النحل، فماتت المعمرات منهن كمداً وأسفاً بأن لسعت نفسها بإبرها!!. أما النحلات الفتية فكانت تطير فوق الجزيرة على غير هدى. وتغير تلك الكتابة التاريخية فوق الصخرة مرة أخرى:

كتبت عليها «جزيرة النحل الحرة الرخية». ويدعو هذا المبدأ إلى عدم الحذر من العقارب والدبابير الصفراء، فمن الممكن أن تقام الصداقة معها. فلها حق الحياة. ويكفي أن تحافظ النحل على وحدتها وتضامنها.

وجاء أول تأييد لهذا الوضع من النمل سكان التراب. لأن سكان التراب ذوي الجلود السمراء كانوا حانقين على النحل، لأنها لم تعد تلقي إليها شيئاً من العسل. فصاروا يستخفون بتقاليد النحل، كما أنهم فسروا كلمة الحرية تفسيراً يناسبهم. «وما الذي يجعلهم دون النحل؟.. فهم مجدون في العمل، وهم قادرون على تركيب الأجنحة في أواخر أيامهم» لم يكن بوسع النمل أن تفكر بهذا، ولم تكن تفهم، ولكنها اجتهدت ولو إلى حين على عدم ارتكاب خطأ في صداقتها مع النحل. لأن نظامها محكم مثل نظام النحل. ولا مجال لأي خلل أو مواربة...

ولكن بعد أن حدث ما حدث لم تعد جنود النمل تحمي سطح التراب ولا شواطئ الماء من جهة البر، ولا تتكالب على كل حشرة أجنبية تحاول الظهور لتشل حركتها، وبدت غير مهتمة بكل ما يجري!.

وماذا عن أحوال الطرف الآخر في جزيرة إبليس؟ ففيها يجري أهم الأحداث. حيث أعدت الأفاعي عشرة من الفدائيين يراقبون قوارب الصيادين للتشبث بها والعبور إلى جزيرة النحل. كانت الخطة تقضي أن تتسلل كل أفعى بعيداً عن مساكن النمل، وتصل إلى خلايا النحل، وتسمم أقراص العسل دون إضاعة أي وقت.. لأنه من المعروف جيداً أن آلاف النحل سترى الأفعى، وستسارع إلى لسع كل نقطة فيها وتنفخها كالطبل وتقتلها.. فكان على فدائيي الأفاعي أن يسمموا أكبر قدر ممكن من الأقراص قبل أن يموتوا. وهذا يعني تسمم ما بقي من النحل. وستأتي الأفاعي الأخرى لتصدر فحيحاً يطالب بالاستسلام..

أما العقارب والعناكب فستتسلق ظهور السلاحف البحرية وتعبر إلى جزيرة النحل. ومهمة العناكب هي:

أن تأسر ما بوسعها من النحل بشباكها وتحتفظ بها. وبعد استسلام الجزيرة تستخدم الأسرى من النحل في صناعة العسل. أما ما وعدت به الثعابين أعوانها من العقارب والعناكب بعد الوصول إلى الهدف فهو: أخذ عهد الطاعة من النحل كي تصنع العسل! بينما يتمتع الشركاء الثلاثة بأكله في الصيف والشتاء دون عناء...

وفي ذلك اليوم لوحظت تحركات محمومة في جزيرة إبليس.

فالعقارب والعناكب تقوم بتمشيط الشواطئ وتراقب السلاحف الحمقاء وهي تغدو وتروح، بينما تمكن بعضها من التعلق بالقوارب التي صادفتها.

وفي الطريق سقطت أعداد كبيرة من العناكب والعقارب في البحر وماتت غرقاً. لكن العملية لم تتوقف. وتحريض الأفاعي لم ينقطع فكانت تصفّر قائلة «ستتغذون بحليب النحل كل يوم!» وتهدد بالموت كل من لا يستجيب.

استمرت هذه المعمعة حتى حلول الظلام، ماتت خلالها ثلاثة من الأفاعي التي ركبت ظهر سلحفاة كبيرة بعد أن سقطت في عرض البحر فغرقت وقذفت الأمواج بجثثها إلى الشاطئ. وكنت ترى على الشاطئ أعداداً كبيرة من جثث العناكب والعقارب.



(كما تكونوا يولى عليكم)

حديث ضعيف، أخرجه الديلمي

جزيرة النحل في قبضة الثعابين

ومع بزوغ فجر أحد الأيام على جزيرة النحل تحركت الحشائش وسمعت أصوات تكسر في أعوادها اليابسة. فأزت العاملات والمناوبات. لقد رأت مخلوقات غريبة. هذه النحلات المسكينات لا تعرف الأفاعي والعقارب لأنها لم تطأ جزيرة ابليس.. فكل ما تعرفه هو جزيرة «كن» التي هي جزيرة الأزهار...

وقبل أيام شوهدت جثتان على الساحل أصغر حجماً من هذه المخلوقات فدعيت كل النحلات إلى مشاهدتها. ولكن ما هذا الشيء الذي يتقدم متلويا كالحبل؟..

وفي لحظة التردد هذه أغارت أفعيان على الخلايا وصبتا سمومهما على الأقراص. وفيما انهمكت العقارب في إملاء بطونها بالعسل الشهي عمدت العناكب إلى إيقاع أعداد كبيرة من حارسات النحل في شباكها.

بدأت الخلايا تستفيق. ونن ووززز.. واختلط الحابل بالنابل على صرخة إنذار رهيبة. تفقدت الإناث البويضات والأقراص فمات منها الكثير بفعل السم.

تنطلق العاملات من الخلية وكأنها في رحلة عمل، لكنها تشعر بما يجري في الخارج فتدور فوق الجزيرة وتصدر صرخاتها.

وفي لحظة غطت ظهر الأفعيين آلاف النحلات فانتفختا لسعاً وقرصاً، فلفظتا الأنفاس دون أن تقوما بأي حركة. وأما العقارب فقد ماتت لتناول العسل المسموم، فقذفت النحلات بجثتها خارج الخلايا.

والعناكب وقعت في قبضة النحل بعد أن نفذت شباكها، لكن النحل دفعت الثمن باهظاً، فقد ماتت كل نحلة استخدمت إبرتها. وأدى هذا إلى انخفاض عدد الخلايا إلى النصف.

انتهى هذا اليوم بالنصر فدعت العاملات ملكتها إلى المأدبة وحفلة السمر عند المغيب - فبقيت هذه العادة السيئة منذ ذلك اليوم -، فأزت النحلات ورقصت بنشوة النصر حتى وقت متأخر إلى أن سقطت خائرة القوى.

كان الجميع يغطون في النوم حتى ضحى اليوم التالي. وفي هذا الوقت حدث الذي حدث. فقد نزل من إحدى السفن إلى أرض الجزيرة ثلاثة ثعابين وعشرة عقارب وتسعة عشر عنكبوتاً..

كانت إحدى عيني الثعبان الذي يوجه القوم مختلفة عن الأخرى، والأصح أنها لا تبصر فكان الجانب الأيسر من الرأس عند الزحف يصطدم بالحشائش والأحجار فيرتد زحف الثعبان الأعور، وصعد فوق صخرة مدببة ودار حول نفسه عدة دورات ووقف منتصب الرأس. وأشار إلى الثعبانين الآخرين. وكان أحدهما من غير أذن، فكان الذي بجانبه يلكزه ثم يشير إليه بلسانه ويوجهه. فزحفا وتسلقا الأشجار، ألصقت الثعابين الثلاثة رؤوس النحلات الميتة بأجسامها للتمويه، ولبست درعاً من رؤوس النحل وأجنحتها بإلصاقها بجلودها الملساء.

والعناكب تسلقت الحشائش جميعاً، فنشرت بينها الشباك، والعقارب بقيت ملاصقة للخلايا استعداداً لتلقي الأوامر. ومن الطبيعي أن يكون هم هذه العقارب أن تنال العسل، فهي تخطط لأن تدخل الخلايا وتمتص العسل. أما العناكب فتمني نفسها بمص دماء ما يصطادها من النحل. وأما الثعابين الثلاثة فتصرفت حسب الخطة الموضوعة.

وأطلق الثعبان الأعور صفيراً مرعباً. كان قد تعلمه من النحلات الأسيرات في جزيرة إبليس، فهو لحن الخطاب التحذيري لملكة النحل، وهو العمود الأساسي لخطة الاحتلال. وعقب ذلك كان للثعابين الثلاثة ثلاثة أسماء معروفة لدى النحل: «الثعبان الأعور، والثعبان العنيد، والثعبان المستضعف» فأحرف الهجاء لدى النحل تمكنت من إطلاق هذا القدر من التسميات.

وبصفير مرعب أطلقه الثعبان الأعور «أعلن نفسه ملكاً جديداً للنحل، متهما الملكة القديمة بخيانة مملكة النحل. تكررت هذه الديباجة إحدى عشرة مرة رافقه فيها الثعبانان الآخران من فوق الشجرة. لكن الثعبان العنيد لا يسمع انتهاء اللحن فيكون صوته نشازاً بين آونة وأخرى.. أما الثعبان الثالث فهو من فصيلة مختلفة. لكن تعلقه بسيده وإخلاصه الشديد له يطغى على هذا الاختلاف، فيتحقق بين الثلاثة انسجام تام..

أفاقت النحلات جميعاً من سباتها مذهولة مما رأته. فقد رأت فوق الصخرة المدببة وعلى أشجار الجزيرة الجميلة نحلاً اتخذت شكل عناقيد. وكيف تدري هذه النحلات المسكينات أن هذه العناقيد من

النحل ليست إلا ثعابين تموهت بأشلاء النحل؟ وأن التي ظنوه ملكة ضخمة للنحل فوق الصخرة ما هو إلا رأس الثعبان الأعور. وأفاقت النحل بعد الذهول لتجد مجموعة من النحلات المحاربة قد وقعت في الشباك. وهكذا أنهت العناكب مهمتها، وبقي عليها الانتظار. بينما أغارت العقارب على الخلايا التي فرغت من النحل لتلتهم العسل، لكنها لا تستطيع التمييز فتقع مغشية بفعل السموم التي اختلطت بالعسل فتجهز عليها النحل، وقد تكتب النجاة لبعض هذه العقارب.

ومات جميع العناكب بهجوم النحل عليها. أما الثعابين فصارت حكام الجزيرة. لأنها نجحت في الخدعة بأنها ملكات النحل. واتهمت العقارب والعناكب بالهجوم على الجزيرة، وأمرت النحل بشن هجوم عليها لإبادتها، وبذلك أبيد من بقي من النحلات المقاتلة ولم يبق أمامها إلا الإناث والعاملات صانعات العسل التي شغفت بهذه الملكة الضخمة.

أما المرحلة الثالثة من الاستيلاء على الجزيرة فنفذت في عالم النمل، فقد خدعتها الثعابين، وجعلتها تؤمن بأنها تنحدر من أصلها، وأبلغتها بأنها اتخذتها جنوداً لها.

فالنمل على شاكلة الأفاعي تدب على الأرض وتتخذ من الأرض بيوتاً. فكرت في ذلك وأسلست القياد للثعابين..

وهكذا صارت الثعابين حكام الجزيرة بلا منازع. فأعلنت العيد في البلاد فأقامت النحل مهرجانات بهذه المناسبة. إنها الغفلة الكبرى، ولكنها الحقيقة المرة!!.

ولا بد هنا من أن نذكر خطة الثعابين المدهشة، فبهذه الخطة ستعلن السيادة الشاملة لتنضوي تحتها النحل أسوة بكل الحشرات الأخرى والخطة من حيث المحتوى والتطبيق تتقسم إلى ثلاث مراحل:

- هناك إعداد تاريخي يتعلق بـ «ماضي جزيرة النحل»
- ومشروع يقضي بالقيام بسلسلة من التغييرات.
- هدف لتحقيق إمبراطورية للثعابين، تكون جميع الحشرات طبقات في هذه الإمبراطورية.

وفي صباح الليلة التي نزلت فيها الثعابين إلى الجزيرة كان هدفها الرئيسي العمل على تغيير التاريخ وإقناع جميع الحشرات المحلية والأجنبية بمهارة فائقة بصحة هذا التاريخ.

التاريخ :

قبل زمن طويل، قبل ألف سنة نحلية، وربما قبل أكثر من عشرة آلاف سنة بشرية، كانت هذه الجزيرة تحت حكم الثعابين. وتسكنها كافة أنواع الهوام والزواحف والحشرات الطيارة وما يدب منها على الأرض. وكانت النمل تشتغل في الزراعة، والنحل في الصناعة. كان الجميع سعداء بأعمالهم؛ و(الخُلْدُ) لم يكن يتذمر من حفر الأنفاق والمجاري، وكان الجراد وقتها يعمل على تطوير نفسه في مجال الرياضة والوثب الطويل. وعندما تشرق الشمس كان الجميع ينهض من نومه، وتدب الحياة في الجزيرة. فإذا قرع صرصار الحقول طبله خفقت الأجنحة وتغير لون السماء بأنواع الحشرات. وصفرة واحدة من الثعبان فوق

صخرته تكفي لحل الخصومات ولإحلال المحبة والإخاء. وفي الليل تقوم حشرات النار بمسيرة المشاعل يشترك فيها الجراد بعزف الموسيقا. ويستمر السمر والطرب إلى الصباح. وفي النهار يؤكل العسل، ويشرب ماء المطر، وتبدأ جلسات الغرام في ظلال الأزهار بين جميع الأجناس. دون أن تغار أي حشرة على زوجها. وذلك لأن الغيرة نوع من التخلف. ولأن اسم البلد بلد الثعابين، فقد كانت متعة العمل في جد ومثابرة النحل. ومن النمل تستمد كل حشرة العون والمدد.

ومرت الأيام وتوالت الفصول، ونزل شيء من السماء فابتلع الثعابين واحدا بعد الآخر. ولحكمة ما ذهب بها إلى جزيرة إبليس ولفظهم هناك! فمن بقي منهم على قيد الحياة أمضى العصور الطوال فاكتسب خبرة وتطوراً.

ولكن في هذه الفترة تكدر صفو الحياة في جزيرة النحل، فبادرت ملكة من ملكات النحل بإعلان سيادتها في محاولة منها للسيطرة على الوضع لكنها فشلت في الاستمرار، وصارت الحشرات الأخرى تتحرك، لأنه عمل يغاير طبيعة النحل. والحقيقة أنه يمكن للنحل أن تتولى بعض المهام والمناصب العالية كأن تعمل في وظائف بقصر الثعبان أو في المراسم.. والمهم في الأمر أن نملة من ذوات كثيرات الأرجل وطويلها أعلنت التمرد. وسيطرت على الوضع فترة من الزمن، لكن (الخلد) قضى على التمرد؛ لأن النمل يجدر بها العمل في الزراعة والفلاحة. وقام (الخلد) بتخريب خلايا النحل، وكاد يقضي عليها قضاء مبرماً لولا العفو عنها إكراماً للثعابين، فلم يقم بعملية الإبادة الجماعية. ولكن

(الخلد) لم يجرب القتال فوق سطح الأرض كما أنه لا يفهم شيئاً عن حكم البلاد. وبدأت غارات الجراد فاختبأ (الخلد) في جحوره وسد دونه المنافذ وخرب جميع الخلايا. بينما خلت الجزيرة من كل شيء يمكن أكله، فصارت الحشرات تموت جوعاً بعد أن انتفخت بطونها من أكل التراب. لم يبق على قيد الحياة سوى النحل إذ كان باستطاعتها الطيران إلى الجزر البعيدة والعودة بعد أن تتغذى بخلاصة العسل. ثم هبت رياح موسمية لم تشهد الجزيرة مثلها، وأغرقت أمواج البحر العاتية أنحاء الجزيرة أياماً وليالي همدت فيها الحياة، ولم ينج سوى زوجين من النحل اعتصما بغصن على إحدى الشجرات الثلاث. وبعد أن هدأت الرياح الموسمية تم التزاوج بينهما، وتركا البيوض في التراب، فتكاثر عدد النحل إلى أن صارت سيدة هذا المكان.

صارت سيدة المكان.. ولكنها ما فتئت تذكر هذا المبدأ التاريخي، تذكر أن أصحاب البلاد الحقيقيين هي الثعابين. وأنها إن عادت يوماً فما على النحل إلا الولاء والطاعة وأن عليها أن تتشرف بالعيش في ظلها وحمايتها.

التوقيع: ملكة النحل . في الفترة ١١٥١ نحلية

هذا التاريخ المزيف كتبه الثعابين على الوجه السفلي لتلك الصخرة السوداء، بسم الأفاعي وعبارات النحل. فقد يأتي يوم تقرؤه النحل، فلا تلبث أن تسلم لها بذلك. والحقيقة أن هذه الحيلة قد تنطلي على كثير من النحل، لكن كتابتها بسم الأفاعي ودس بعض الكلمات من لغة الثعابين وكتابتها في الوجه الخلفي من الصخرة على غير عادة النحل، ستكون سببا في اكتشاف الحيلة.

وأول التعديلات المقررة كتب بلسان الأفاعي على ورقة:

«سيصار إلى تغيير في لغة النحل كما سبق أن غير تاريخها، مع الإبقاء على اسم «لغة النحل» وستمزج لغة النحل بمفردات من لغات الأفاعي والعقارب والنمل.

ولما كان الهدف الرئيسي هو السيطرة على جزيرة النحل، فمن المحتمل تغيير أعراف النحل وتقاليدها كلها. فمثلاً يجب تغيير شكل الخلايا. كأن تحول المسدسة إلى مربعة. بل ويتطلب الأمر صنع أقراص العسل في جحور الثعابين... أما ملكة النحل فليس مكانها داخل الخلايا وإنما أغصان الشجرة. كما أن على النحل أن تصطبغ بلون الثعابين. ومن الطبيعي قبل ذلك أن تلصق الثعابين بجلودها وبر النحل كي تعرف بأنها «أبو النحل».

وتحت اسم تطوير موسيقا النحل، يجب أخذ بعض النغمات من الزيز والجراد. بدعوى أن «الموسيقا تكون جافة غير مطربة إن اقتصرت على صوت النحل»..

والأمر نفسه في رقصات النحل. ولكن يتطلب الأمر كذلك مساعدة الجراد على بلوغ الشهرة في الرياضة والجري وتقديم المكافآت التشجيعية لها، كما يجب أن يكون التغيير متقبلاً لدى العامة.

وبطبيعة الحال فللثعابين أن تغير كل شيء متى شاءت بالقوة بعد أن تحكم قبضتها على زمام الأمور..

ويجب نقض كتابة النحل، كي لا تكتب من أسفل إلى أعلى بل من أعلى إلى أسفل، ويجب أن يحدث هذا التغيير «لأنه إشارة إلى تفوق النحل»

ولن يقتصر التلقيح على ملكة النحل، بل يجب أن يكون التلاقح بين جميع أفراد النحل. ولا بأس أن تتلاقح النحل وشر الأخرى، كي ينشأ جيل له القدرة على التحمل.

ألصقت هذه الخطة السرية تحت جلد الثعبان الأعور، لتطبق بنداً فبنداً.

أما الخطة الثالثة، فكتبت على قشر شجرة ثم دفنت في الأرض. وسيعلن عنها فور انتهاء الغارة، وسيطلب من جميع الحشرات المساعدة على تنفيذها. غير أن هذه الخطة التي تمنح النحل أعلى الرتب كانت مليئة بالتزوير والتزييف. لأن شرح تأسيس إمبراطورية الثعابين ما كان إلا لضمان ولاء النحل وطاعتها، وإلا فما نوع الحقوق التي تمنح للحشرات الأخرى في بلاد الثعابين؟ فعلى الرغم من تكليف كل حشرة بمهمة معينة حسب الخطة الموضوعة فإن السلحفاة مثلا مصدر غذاء للثعابين. والفئران عدو لدود، وجزار لا يرحم الثعابين أثناء سباتها الشتوي!!

تقسيم العمل في إمبراطورية الثعابين:

كل الصلاحيات والأوامر بيد الملكات الكبيرات (الثعابين الثلاثة) بالدرجة الأولى، وبيد نحلات الخلايا بالدرجة الثانية.

يدير النمل شوون الحرب والجندية وحفظ الأمن، فالنمل من فصيلة الآباء!.

تقوم النحلات في الوقت نفسه بصناعة الغذاء، والانشغال بالأمور التجارية والدينية. وستحظى بكل الاحترام.

يشرف الجراد على أعمال الزراعة وجمع الغلال، ويمثل في الوقت نفسه الدولة في مجال ألعاب القوى.

تقوم الضفادع والزيز بتنظيم أعمال الحفلات والطرب، وترافق النحل في الاحتفالات بعزف ألحانها الرائعة.

تقوم الجعل برياضة كرة القدم وصناعة السماد.

يعمل القراد بالرقص وأداء الأهازيج.

تكلف الفراشات بالعمل في مجال «الموضة» وعرض الأزياء.

تعمل الخنافس في مجال الزهور وصناعة العطور.

تقوم الصراصير بتسيير شؤون الطبخ وتنظيف البيوت.

وتعمل الأرضة في غسل وكي الملابس.

ويعمل البزّاق في الرسم والدهان وطلاء الجدران.

يقوم البعوض والذباب الأسود بمهمة التمريض إلى جانب العمل في جمع القمامة وتنظيف المجاري!..

تقوم الهوام الأخرى بالتزيين في الأعياد إلى جانب عملها في أشغال الماء والكهرباء.

يقوم الخُلْدُ، بأعمال الزراعة وزراعة البطاطس بوجه خاص... ويتجول بين الناس في زي الفلاحين.

السلاحف تجيد النقل والشحن. وفي الأعياد تنظم مسيرات حملة المشاعل البحرية.

ودود الأشجار واليرقات، تدير شؤون الغابات وتعمل في مجال قطع الأخشاب والتجارة.

والعناكب تقوم بصناعة النسيج، وتشرف على أمور الصيد ورياضة تسلق الجبال.

ودودة القز، تعمل في تجارة الأنسجة وصناعة الحرير وتنجيد الألحفة.

والقمل والبراغيث والعلق وذبابة الكلب، تقوم بعملية نقل الدم والشؤون الصحية..

وحشرة النصيب تقوم بأمور البريد والاتصالات.

والفئران تشرف على شق الطرق، ومد الخطوط الحديدية، وحفر الأنفاق والأعمال الإنشائية بصورة خاصة.

والحرباء تتولى أمور الفحم والغاز الطبيعي.

والبط البري وظيفته جلاد وحارس سجون.

والمتحولات (الأميبيا) تختص بالأعمال الكيميائية وتراقب شبكات المياه.

ودودة الأرض، تنقب عن البترول وتحفر الآبار الارتوازية.

وصرصار الحقول، يصنع ويدق الطبول.

كانت هذه الخطة الثالثة، هي الوحيدة التي أفصح عنها. وقد أعطي للنمل والعناكب فيها وظائف لا تخلو من التشريف. لأن الثعابين في أبحاثها التي قامت بها في وقت سابق، وجدت أن النمل تشابه النحل كثيراً في طراز العيش والنظام، وأنها تعتز بمشابهتها النحل، فعلى

شاكلة النحل عندها الذكور، والعمال، والمنتجون، وعمال الطحن، وعمال التخزين، وموظفو الاستخبارات. فهي تحارب مثل النحل. وجميع النمل جنود في ساعة الخطر. كما تشابهها في شكل أجسامها كما تكون لها أجنحة في المرحلة الأخيرة من حياتها فتصبح قادرة على الطيران كالنحل. فهي تقيم علاقات طيبة مع النحل، تستفيد من عسلها وهي بدورها تتصدى للجواسيس والأعداء الذين يتسللون خفية، فتعيش مع النحل في جو من المحبة والإخاء.

أضف إلى أن ذكرها ورد في (كتاب الله) لقد أخبرتها النحل بذلك. أخبرتها بأن (كتاب الله) أفرد لها وللعناكب فصلين خاصين، وأن خالقها أوحى إليها وعلمها بعض قوانين الحياة والفنون والحقائق... فالنحل أنبأت النمل والعناكب بهذه المعلومات على النحو الذي تلقتها من مصدرها، حتى إنها أبلغتها بأن أسماء النحل والنمل والعنكبوت وردت في الوحي المنزل إلى البشر... ولكن.. ولسبب ما لم يتحقق التفاهم بين العناكب والنحل.

ومن ناحية أخرى لم يكن في جزيرة النحل وقت الغارة سوى النمل، أي أن الثعابين فطنت لهذه الناحية، وعليها أن تجرب طريقة تكسب بها النمل إلى جانبها.

والواقع أن بقية الحشرات لم تكن موجودة، وورود أسمائها لم تكن إلا من باب التمويه بهدف إضفاء هالة العظمة والقوة والنظام على الإمبراطورية المزمع تأسيسها، ولإخفاء العداوة المباشرة التي تكنها للنحل.

في نهاية الأمر خطب الثعبان الأعور خطبة قصيرة لكنها عجيبة، وغير مفهومة.. لكنها مقلقة..

يقال: إنه أمر إحدى السلاحف بإعداد هذه الخطبة. ولذلك أطلقت النحل على طريقة الحديث التي لفقتها الثعابين وسمتها بـ«لغة النحل»، اسم «لغة السلاحف» على هذه الخطبة!! وها هو ذا ملخص ذلك الخطاب التاريخي، وعند سماعه سكت كل من سمعه متظاهراً بفهمه:

«لم تكن النحل تصنع عسلاً. امسحوا شفاهكم، لتدهن إناث الحشرات عسلاً..

قسموا إنساناً إلى مربعات، وكبروه مئة مرة.. وقوموا على أرجلكم بجانب فريسة. وانظروا.. وأنتم في حالتكم هذه إلى وكر حشرة. هكذا..

ليعد كل إلى عمله!..»



﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[النحل]

أول الشك في الثعبان الأعور

على غير العادة.. وقد تبدو عجيبة، لكنها وقعت حقيقة. لم يلبث أن ملك الثعبان الأعور بجسمه الضخم وبرأسه الكبير قلوب الكثير من النحل. فقد كان سيداً أنيقاً! والقلب يحس بالاحترام لسيد مثله وبطبعه دون عناء. ولكن الأمر لم يخل من نحلات فطنات تدرك حقيقة الأمر، أو نحلات تسعى لفهم تلك الحقيقة. وكانت هناك نحلات مسنات فضلت السكوت، ولم تأخذ موقفاً حاسماً، ولجأت إلى نوع من المقاومة السلبية...

أحس الثعبان الأعور بمثل هذه المواقف في الجولات التي قام بها وفي الأعياد والمناسبات التي تقام بين يوم وآخر. فجثم على قمة الصخرة المدببة يراقب النحل بشكل دائم، فقد أجاد لغة النحل. ولو لم يكن في حديثه شيء من الصفير، لكان أفصح من النحل. فهو يتذوق كل لحن لدى النحل ويدرك ماتسر بداخلها. ولكن ليس من السهل أن يعرف ما بداخل كل خلية، وما الحديث الذي يجري عند السفر إلى بلاد الزهور... خاصة وأن العادة جرت على الاحتفال بيوم وَطْءِ هو أرض الجزيرة. ذلك اليوم الذي تشبث في هؤلاء المحتلون بالسفينة التي ضلت سبيلها فجرفتها الأمواج حتى اصطدمت بجزيرة إبليس، وبعد أن استبد بهم الجوع والعطش وتقاذفتهم الأمواج أياماً حتى اصطدمت بالصخور،

ومن العجيب أنها لم تتحطم، وأخيراً انجرفت السفينة إلى جزيرة النحل فنزلوا منها إلى صخرة فيها. كما إنهم اختبؤوا وزال عنهم التعب وخططوا للغارة فجر ذلك اليوم. ففي الاحتفال بالذكرى السنوية لذلك اليوم أقيمت رقصات النحل وعزفت الألحان، وتحققت الطلعات الجوية، فضجت الجزيرة بأزيز النحل وفحيح الأفاعي وصرير العقارب...

استدعى الثعبان الأعور، الثعبان العنيد، وشرح له خطته:

- «أنت وزيري، ومهمتك تتبع أسرار النحل. وتحديد من يجب تصفيته. أما الثعبان الثالث فليهتم بمخزون العسل!»

تلوى الثعبان العنيد وأبدى امتنانه:

- «شكراً لك. ولكن أذني»؟.

- قال الثعبان الأعور زاجراً: «دعك من الأذن» إنك تملك ذكاءً شيطانياً. تفهم من حركة الشفاه وخفق الأجنحة. كما أنهم لن يتحرجوا من الحديث أمامك لظنهم أنك لا تسمع!».

انحنى الثعبان العنيد ثانية محيياً سيده وقال:

- «لقد قلت حقاً. لكني أقترح عليك لهذا الأمر سيدا للنحل يتزعم جيوش النمل. إنه معجب بنفسه مع شيء من الحماقة. ألا تذكره؟ لقد ساعدنا في غارتنا الأولى حيث أطحنا بالسيد القديم؟، ثم قتل العناكب وأراحنا منهم.

حدق الثعبان الأعور بعينيه إلى صديقه ومد فرعي لسانه في إشارة لتأييد ما قاله..

وخلال وقت قصير وصل الخبر إلى النحلات غير المطيعة: «غادروا الجزيرة!» وسيقتل كل من لا يغادر..

وخيم الهدوء على كل مكان. ولكن تدابير الثعابين إلى جانب قلقهم لم ينته بعد. وذات يوم كان الثعبان الأعور يتجاذب أطراف الحديث مع الثعبانين الآخرين وهم يتناولون حليب النحل من جهة ويراقبون أزيز النحلات العاملة التي تغدو وتروح. الجو صحو، والأفق صاف، بحيث يشاهد مرور السفن من بعيد، كما تمر الدلافين والسلاحف البحرية قريباً من الشاطئ.

كان الثعبان الأعور في قمة نشوته. فحليب النحل الذي تعفن في جحره هو السبب في هذه النشوة، كما أن هذا المشهد ذكره بالثعابين الأوائل كيف أبيدوا أثناء دخولهم جزيرة النحل، وكيف سقطوا من على ظهر السلاحف في البحر فماتوا وهم يتخبطون في الماء، فلم يتمالك نفسه فضحك.

استهجن الرفيقان ضحكته، وسألاه عن السبب!!. ظنا بأنه يسخر منهما. استشاط الثعبان الأعور غضباً ونهرهما، وما أكثر غضبه على رفيقيه وزجره لهما!!. وبدأت سلسلة الأوامر. فالأوامر دائماً تصدر في مثل هذه الأحوال فتكون أشد ظلماً وجورا:

- «ياصاحبي المتلويين!»، «لنشرب هذا العسل المعتق نخب كل الزواحف. وسأملي عليكما بعض التدابير فاحفظاها جيداً!»

كتب الثعبان توجيهاته كلها على وجه الصخرة المدببة، بعد أن غمسا

لسانيهما في إناء حليب النحل، يخطان ويمحوان، ثم يكتبان من جديد.

- قال الثعبان العنيد «رائع»! وتقدم الثعبان المستضعف باقتراح حول العسل، فأضيف هذا الاقتراح إلى ما كتب:

- سيتم تغيير لغة النحل، شيئاً فشيئاً. لأن أعراف النحل وعاداتها تعيش على اللغة والموسيقى، وإذا بقي الأمر على ما هو عليه فقد تتنبه النحلات الفتية وينكشف أمر الثعابين. فمن الأنسب أن تدس كلمات من لغة الثعابين إلى اللغة الجديدة تحت ستار تجديد اللغة..

وستمنع الكتابة بخط النحل. وتستبدل بها كتابة هندية ملتوية كالثعابين، حتى لا تقرأ الأجيال القادمة من النحل كتب أجدادها القديمة وتثور في يوم من الأيام...

وأضاف الثعبان العنيد شيئاً آخر:

«ستضع النحل فوق عيونها قطعة كبيرة من جلد الأفاعي القديم. كي تحميها من الشمس تسمى «قبعة النحل».

- وعن العسل الذي سيلتهمه كل ثعبان، أصدر ما يلي:

على كل خلية أن تضع قرصاً من العسل في جحور الثعابين في أول كل شهر، حتى يتعتق العسل في الجحور ويكون غذاء احتياطياً في زمن الحروب...»

سر الثعابين بهذه القرارات فشربوا من حليب النحل المعتق حتى دارت رؤوسهم فوقعوا هامدين على الصخرة. حتى إذا طلعت الشمس واكتوت ظهورهم بحرها صحوا متمطين مترنحين.

تدحرج الثعبان العنيد في تلك الليلة، حتى تسند قبيل الصبح على خلية للنحل. أفاقت النحل من النوم لترى الثعبان في بنيته الحقيقية، وأبدت دهشتها لبعضها، فمن المعروف أن الثعابين يقفون بعيداً ولا يسمحون للنحل بالاقتراب منهم. فأفسدت هذه الحادثة اللعبة. حتى إن بعض النحلات حسبته عدواً فلسعته!... ولم يطل بها الأمر حتى جاءها التحذير من النحلات الأخرى. وأما الثعبان العنيد فقد ذهب إلى الثعبان الأعور منتفخاً بفعل اللسع وأخبره بالأمر. فعزله من الوزارة وعين مكانه الثعبان المستضعف، فقد ارتكب خطأ شنيعاً وكاد أن يفتضح أمرهم.

وسرت بين النحل همهمة!! لكن السيد الذي ولي رئاسة النمل لجأ إلى التهديد. ودعاهم إلى الخضوع والطاعة. وذلك أن النمل التي تغذت بالعسل صارت من القوة بحيث تجري كالخيول، وأضحت النملة الواحدة تغلب النحلة بسهولة.

وسكنت النحل بعد أن أدركت عدم قدرتها على التصدي، وانصرفت إلى عملها. وعادت الأمور إلى ما كانت عليه. ولكن شق عليها أن ترمي كل شهر بقرص من العسل في جحور الثعابين، فكانت تقتات بما تجده من رحيق الأزهار والتراب. فكل ما يمكنها صناعته في الشهر الواحد من العسل هو قرص واحد ترميه في جحور الثعابين. لقد أحنى الجوع ظهورها فمرض أكثرها. وما أكثر النحلات التي ذهبت إلى جزيرة الزهور فخارت قواها فسقطت في الماء. وتناقص عدد الخلايا بصورة مقلقة. بينما كانت الأناشيد التي لحنتها الثعابين في نهاية السنة الأولى تقول:

- «أنتجنا في سنة وحدة خمسة عشر ألفاً من النحل القوي».

للأسف، لم يكن يدرك حقيقة الأمر سوى تلك النحلتين الشقيقتين اللتين نزلتا في مملكة الثعابين، وأنذرتا بهجومهم الأول. فهما الآن في سن الشيخوخة وفي عجز تام. لكنهما همستا في أذن فتيان النحل شيئاً. ثم ماتتا وتنوقلت النصيحة في الآذان، وتلقاها جيل بعد جيل. وما جدوى هذا النقل والتلقي؟».

لكن بعض النحل قال: إن غداً لناظره قريب»

همست النحلتان العجوزتان:

- إن هذه المخلوقات التي بدت لكم وكأنها ملكة النحل ما هي إلا ثعابين. وكل ما يفعلونه ما هو إلا خداع وزيف. انظروا إلى جلودهم، فهم لا يشبهونكم. تظنونهم كومة من النحل. وهي في الحقيقة أجساد القتلى من إخوانكم ألصقوها بجلودهم».

- وإذن فلم يدخلون جحوراً تحت الأرض مثل جحور الفئران؟..»

حقاً، وما سبب عدم مبيتهم في خلية للنحل، وما سبب عدم إخصاب بيضهم كل هذه المدة. وكيف تفسرون زيادة عدد أدعياء السيادة كل شهر بينما يتناقص عدد النحل؟

والواقع أن عدد الثعابين في الجزيرة بلغ العشرة.

«... ثم ما الذي تجنيه النحل من تعليق هذه الفلوس على الرؤوس؟! لقد ضيقت عليها مجال الرؤية فبدت بها النحل غريبة الشكل...»

كل هذا، والغالبية تخضع للأمر وتتابع طيرانها.

﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾

[الصافات]

قميص الخلود

في مساء ذات يوم بعد أن أفرغت الشمس دفئها وحرارتها على الجزر طوال النهار، وبعد أن كانت الأحياء جميعها في حركة دائبة من ساعات الصباح الباكر وحتى المغيب، وكانت النحل على عادتها قد خرجت من خلاياها مع خيوط الفجر الأولى، وطارت نحو الأفق فوق البحر حتى عثرت على كومة من الزهور في الجزيرة المجاورة، لكن النحل كانت ضعيفة من حيث العدد والقدرة فلا تقدر على تكرار الرحلة، فخططت للعودة مساء بحمل كبير. لذلك فلم تكن في عجلة من أمرها وبدأت بالعودة عند المغيب.

أما بهجة الطيران ونشوتها فقد صارت من ذكريات الماضي.. ولم تعد النحل تملك حرارة المرور على الجزر الأخرى. فالأسراب تطير على مستوى واحد من غير أن تشكل قافلة منتظمة إنها تتبع بعضها بمجرد سماع أزيزها.

وقبيل انتهاء رحلة العودة، أي وقت رجوع النحل إلى موطنها في جزيرة النحل، هبت رياح متوسطة الشدة فشتت القافلة، إلى أن وجدت طريقها مرة أخرى بعد انقشاع الغيم وظهور الشمس، فوصلت إلى موطنها، لكنها على مجموعات صغيرة.

وفي لحظة الغروب عندما لامست الشمس خط الأفق، ثم غاصت في لجة البحر، وغابت عن الأنظار، وصلت إحدى هذه المجموعات إلى ساحل الجزيرة. كانت عبارة عن ثلاث صديقات من النحل التي تتنبه وتبحث، فإذا ما تراءت جزيرتها في طريق العودة وتبدت الصخرة السوداء المدببة، ولاحت الشجيرات الثلاث على بعد في زرقة البحر، انتابت قلوبها موجة من القلق على جزيرتها، من مصيبة قد تقع في غيابها، فهي غير راضية بحالها، لكنّ حدوث ما هو أسوأ يخيفها.

كانت مرارة اليأس تعتصر قلوب هذه النحلات الهرمة فتقول: «وماذا بعد كل هذا؟» وعندما تقترب من البر تتفحص كلّ ما على آفاق الجزيرة بدقة. تتفقد بطرفة عين ترابها وأشجارها وأحجارها.

والحقيقة أن جميع النحلات كانت تقوم بمثل ما تقوم به النحلات الثلاث، لكن النحلات الثلاث وما شابهها من أقرانها كانت أكثر حذراً وانتباهاً..

وعند عودة المساء جالت بأعينها في أنحاء الجزيرة الحبيبة بنظرات فاحصة واجفة، فكان فرحها مشوباً بالحزن: إنها الوطن الأم، البلد الأصلي، فكم من النحل ولدت فيه، وكم من الأجداد لفظت الأنفاس في أرضه. وكم من الأمهات ربت صغارها في أرجائه. وكم من عهود الكرامة والرفعة شهدت أنحاؤه. وكم من الحشرات الأجنبية أرادت اختراق حرمه لكنها لم تقو على ذلك، وكم وكم..!!

أما سبب حزنها وأساها فواضح جلي: فالبلاد تحت حكم احتلال

داخلي غريب. وقعت في قبضة عصابة غريبة من بني جنسها، وبواسطتهم أقامت الحشرات المستَعْمِرة قواعد في الجزيرة، حتى السلاحف أصبحت تؤم سواحلها وتطلب العسل وتعربد في أرضها. لم يعد بمقدور النحل أن تحط على الشاطئ وتبلل أقدامها الصغيرة بالماء. فقد أقيمت عليها أعشاش عجيبة، وما أكثر من يعاود الغوص، ومن يعانق، ومن يفارق!!

ظنت هذه النحلات الثلاث الحذرة بأنها ذوات فكر وفهم، لكنها لم تكن بمنأى عن الاعتقاد بأن الثعابين ما هي إلا نحل كبير من بني جلدتها. وهذا هو مكمن الخطر.. ومن هنا تكون النظرة الخاطئة إلى الأمور وطرح الحلول الخاطئة للمشاكل. فلو قررت جميعاً بأن المحتلين والمستعمرين حشرات من جنس آخر، وأنهم ليسوا إلا أفاع، لخطت الخطوة الأولى نحو الحل.

فالنحلات الثلاث التي بلغت الشاطئ بلواعج الشوق المشوب بالقلق راقبت الأرض من عل فوجدت أمراً غريباً: وجدت قواقع حلزونية كبيرة، من الحجم المألوف تتحرك منتشرة على طول الساحل. وهذا يعني أن النحلات العاملة تسعى لجعل القواقع مساكن لها، ولكن النحل منذ أن بدأت في اتخاذ القواقع بيوتاً لم تر أصدافاً بهذا الحجم.

قالت بعضها لبعض: «لعل البحر جاءنا بهذا النوع الجديد»، ومع ذلك فإنها لم ترض أن تحط على الأرض لمعاينة هذه الأجسام، فقد تأخرت كثيراً، وعليها الوصول إلى الخلايا وإفراغ الحمولة. حامت فوق الساحل حومة، ثم حطت على مساكنها. فوجدت أن سكان الخلية تتناقل هذا

الحديث. العاملات التي عادت من جزيرة الزهور تتحدث جميعها عن قواقع الرخويات الضخمة (البيوت البحرية حسب لغة النحل) مع كثير من التعليق والتحليل، فهناك من يفسرها على أنها حادثة سعيدة، وهناك من يشعر بالقلق تجاهها، وينصح بالتمعن والتبين. ويرى آخرون أن هذه الأجسام، أو هذه البيوت المرشحة لأن تكون خلايا كبيرة أكثر من اللازم لا تصلح، وأن مدخلها واسع مما يجعل حماية العسل المخزون والبويضات أمراً عسيرا. أما الشواذ من النحلات الفتية فقالت:

- «لا داعي لكل هذا القلق. علينا أن نجدد بناء الخلايا فوراً، كما أن علينا توفير خلايا تكون مأوى لأسيادنا التقدميين».

والمقصود بالأسياد التقدميين، الثعابين المتنكرة. فلما وصل الأمر إلى هذه النقطة، لقي الاقتراح إعراضاً، للقلق الذي أحدثه لدى بعض النحلات وللضيق الذي شعر به آخرون. وانفض الحديث وتواعد الجميع على تداول هذا الأمر في صباح اليوم التالي. ولكن النحلات الثلاث اليقظة لم يغمض لها جفن. لم يكن يؤرقها إلا مخاوف وهواجس قد تفيدها في أخذ الحيطة والحذر.

تجمعت النحلات الثلاث أمام إحدى الخلايا وتهامست، ونزلت في التراب لبحث ما يجب عمله واتخاذ التدابير اللازمة، فخفق الجناح في الليل ممنوع ومحفوف بالمخاطر. والحقيقة أن الليلة كانت مقمرة، لكن الأشياء تبدو واحدة في عيون النحل على نور القمر. فلا مجال للتمييز بين الأحياء والجمادات، وبين هذا اللون وغيره.

قالت إحداها: «ما أجمل نور القمر!!»

فردت الثانية: «وما لنا به. فالصبح خير!»

أضافت الثالثة: «ولكن لابد من رسم خطة واتخاذ قرار».

وساد الجميعَ صمتٌ، وبدا عليها الاستغراق في التفكير... لكن الأنظار كانت مصوبة إلى نور القمر، وبدا القمر عموداً فضياً يترسم على صفحات الماء، والماء يتماوج ويتمايل تدللاً للقمر. وبدت النجوم خافتة من شدة ضوء القمر. وبدت على وجه القمر في الأفق صفرة في يومه الرابع عشر ثم زاد ابيضاضه وصفاؤه كلما زاد ارتفاعاً. ووقفت الشجرات الثلاث حسناوات الجزيرة مطأطئة رؤوسها خجلاً، في حين انتصبت الصخرة السوداء كالحرية تتحدى القمر بقامتها..

وطار بالنحلات الثلاث خيالها إلى الجزر الأخرى، ففكرت بجزيرة الأزهار على نور القمر. لم تجرب، ولكن بوسعها أن تقدر. فالزهور الآن نائمة في ركود وقد أغمضت عيونها، وبدأت تنتظر في شك وريبة. وأما الأزهار المتيبسة فقد ارتمت بعد حشرجة الموت.

ألا ترى أن ورق الزهر وعودها لا تهم النحل، فالمهم عندها الزهر وطلعها ورحيقها...

كانت جزيرة الثعابين غارقة في سكون عميق تحت نور القمر. لكن تلك الينابيع تتدفق وتسيل متدللة للقمر.. وجزيرة الجرذان تبدو أرضاً مظللة على ضوء القمر، ليس فيها غير سطح أغبر تتخلله بيوت السلاحف ذات القبب الواسعة تلاحظ عليها التحرك بين حين وآخر، لأن هذه المخلوقات تصطاد حتى في الليل. أما جيرانها من الجرذان فتغفو في جحورها وقد مدت بعضاً من رؤوسها تحت نور القمر. وبدت

هذه الجزر في هذه الليلة المقمرة أشباحاً متباعدة تتبادل النظرات فيما بينها.

بعد هذا الصمت والاستغراق في التفكير تمالكت إحدى النحلات نفسها وهمست:

- «وبعد، ماذا سنفعل؟»

- نعم، ماذا سنفعل؟

- «إذن فليس لكما، أو بالأحرى ليس لأحدنا أن يقول شيئاً. فلعل القمر خدعنا. وذلك لأن ضوء القمر يخدع الوجود، وعلينا انتظار ضوء النهار. وأضافت:

- «لننهض باكراً ونتفقد تلك القواقع وسنقرر في حينه».

وفي فجر اليوم التالي قامت النحلات الثلاث التي تملك القدرة على الشك والقلق بمسح الساحل بطوله. فلم تعثر على قواقع الرخويات، وإنما وجدت أشياء ملتفة على بعضها كالحبال. فعادت مسرعة إلى الخلايا، فحدثت بما رأت لكنها لم تجد القبول. أشرقت الشمس والمناقشات مستمرة، وبعد أن ارتفعت الشمس في كبد السماء تفقدت الساحل مرة أخرى. ياللغرابة!.. فقواقع الأمس في مكانها. كيف حصل هذا؟ إنها لم تكن موجودة قبل قليل. الظاهر أن عيون النحل خدعتها فقد نامت متأخرة واستيقظت في الصباح الباكر، فها هي ذي القواقع الكبيرة؛ لا زالت كما هي في مكانها. وعلى الفور حطت النحلات لتتفقدها.

ما الذي حدث، وكيف؟ تحركت هذه القواقع وشدت نحلتين إلى جوفها، فغابتا بلا امتناع أو مقاومة. أما الثالثة فطارت عدة جولات فلم تعثر على أي دليل. فعادت إلى الخلية وجاءت مجموعة أخرى من النحل، فحط بعضها على هذه القواقع فابتلعتها فوراً، فكأنها سحبت من ثقب القشرة إلى الداخل وما عُدت تسمع شيئاً. وحطت النحلة الثالثة على ظهر إحدى القواقع، تلمستها بإبرتها. فوجدتها طرية فلم تكن كالقشرة فزاد شكها، أعطت إشارة الخطر ولكن المئات من النحل لم تع ما قالته النحلة الخبيرة، فاختفت في لمح البصر.

وعلى الفور عادت النحلة الثالثة إلى أترابها من النحل وسألتها عن رأيها، فتوقعت أن تكون شَرَكاً، سألتها عن وسيلة للخلاص. قالت نحلة عجوز.:

- «البسي قميص الخلود وجربي».

سألت النحلة الثالثة:

- «وما قميص الخلود؟»

- «شيء من كتاب الله لإنسانية!!»

ومدت يدها بورقة كتبت فيها: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ** ﴿٧٩﴾ **إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾. لبست النحلة تلك الورقة كما تلبس القميص وطارت، وحطت على إحدى هذه القواقع واقتربت من ثقبها وانسلت إلى الداخل، فإذا برأسين ولسانين وأنياب تقطر سما تمد نحوها. إنهما رأسا ثعبانين التف أحدهما على الآخر. وبقفزة واحدة رجعت النحلة إلى الخلف فانشقت القشرة نصفين، فانفصلا عن بعضهما، بينما

وقفت النحلات مشدوهة بما رأت. فما لبث القوقعة الضخمة أن تحولت إلى ثعبانين لجأا إلى جحر. مازالت القواقع الأخرى في مكانها، والنحلات التي تدخل فيها لا تعود. فقد دخلت إلى قوقعة واحدة عشر نحلات فلم تخرج منها. كررت صاحبة قميص الخلود دخولها في هذه القوقعة، فتحولت بدورها إلى ثعبانين، لجأا إلى جحر قريب.

لم تجد النحل تفسيراً لذلك. وفي هذه الأثناء سمع صفير الثعبان الأعور يؤذن ببدء العمل، وطارت النحلات على إثر ذلك، وتفرقت في الجزر. كان منظر الجزر في ضوء النهار يبعث على الأمل والبهجة، عملت النحلات وعادت قبيل الغروب. فلم يكن على الساحل أي أثر لتلك القواقع الضخمة.

فهمت النحلات فيما بعد أن ما رأته لم يكن إلا حيلة من حيل الثعابين، اقترحها الثعبان المستضعف، فكافأه الثعبان الأعور على اقتراحه هذا بأن جعله رئيساً للوزراء مضيفاً إليه منصب رئيس التنظيم. غير أن الثعبان الأعور أصيب بالدهشة لافتضاح هذا السر لدى النحل، وفشل الحيل، فانقطع حبل الود بينه وبين الثعبان المستضعف، وأدى الأمر إلى استقالته من منصب رئيس الوزراء.

وكان عليه أن يعرف النحلة وطريقها في كشف الحيلة الثعبانية..

وبقي هذان السران مجهولين لدى الطرفين؛ فما عرفت النحل أن ما كانت تظنه قوقعة ما هي إلا ثعبانين التفا على بعضهما،إذ وضعا حداً لهذه الحيلة من تلك اللحظة. وكان الهدف منها قتل النحلات القوية من غير أن تشعر بالشرك المنصوب لها.

ولما عـرفت الثـعـابين أمـر قـمـيص الخلود بدأت تأخـذ حـذرها من النحل، وتشعر بالخوف منها.

وبعد هذه الحادثة تم إعداد قميص لكل محارب، فصارت كل نحلة تلبس هذا القميص تنجح في مطاردة الثعبان إلى جحره.



﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل]

النحل تستيقظ

أعرفتم ما جرى لتلك النحلات التي نفيت من جزيرة النحل؟... فعلى الرغم من عجزها عن الطيران، فإنها استجمعت قواها، واتجهت إلى جزيرة «كن» أقرب الجزر في «بلاد الزهور». ومن الطبيعي أن تموت أكثرها في السفر، فسقطت في البحر. أما التي وصلت إلى جزيرة «كن» فقد وصلتها خائرة القوى، حتى إنها لم تقدر على تسلق الزهور وسد الرمق. حتى إذا سمعت الزهور أزيزها وحشرجتها عرفت صديقاتها، ففتقت براعمها رأفة ورحمة بها، وتفطرت قلوبها فَرَقًا لحال هذه النحلات المريضة.. المهاجرة.. وقد كانت الزهور تحني أغصانها، وتكاد عيونها تتشقق من التفتح لتغري هذه النحلات فتحط عليها... وهكذا سال الرحيق على التراب فلعقته النحلات المريضة، فتماثلت للشفاء، وقصت على الزهور ما أصابها من البلاء من استيلاء الثعابين على بلادها.. ذهلت الزهور، والفتية منها بصورة خاصة، فعمدت إلى كتابة ما سمعته على أوراقها، وأسالت دموعها على ترابها. فشربتها النحلات الكبيرة فزادت قوتها وتابعت حديثها، فكانت النحل تحكي مأساتها والزهور تبكي. وهاجت الجزيرة وماجت. أهي بداية سعيدة؟ أم حداد على مصيبة؟ فلدى الأيام جواب هذا السؤال. لكن حادثة أخرى حدثت، كانت أكثر تأثيراً مما سبق.

أتذكرون تلك الدبابير العاطلة؟ تلك الدبابير التي تقوم بسرقة العسل، وتثقب الخلايا ليسيل منها عسلها، دأبها التزييف والتزوير والتجسس لحساب الأفاعي، وافتعال الأحداث وتدبير المؤامرات؟ تلك الدبابير الصفراء.. لم تلق حظوة لدى الأفاعي، كما أنها لم تجد العسل في الخلايا، فاضطرها الجوع للجوء إلى بلاد الزهور وبدأت تقتات برحيق الزهور.

حضرت.. وشهدت بكاء الزهور، حطت على التراب، ومدت أرجلها الأمامية، واعتذرت أمام النحلات الهرمة.. ولات ساعة مندم!!



ويبقى الأمل ببقاء الروح. والله قادر على كل شيء. يخلق الزمان في الزمان في الزمان، ويخلق القدرة فيمن لا يملكها، وكل مخلوق يشهد على ذلك في حياته. ومع أن أصحاب مملكة النحل الحقيقيين رأوا بعض الدلائل. فإن تعود الأكثرية على نظام الأفاعي، وميلها إلى التصديق بأن النمل هي من نسل الأفاعي، وزيادة عدد الأفاعي عاماً بعد عام وبلوغها المئات، وتناقص أعداد النحل يوماً بعد يوم يقضي على كل أمل.

هناك شيء كان يراود الأذهان في النحلات الفتية:

- «لماذا لا نهاجر إلى جزيرة الزهور؟»

فتجيبها النحلات الهرمة ببساطة:

- «تلك هي جزيرة (كُنْ)، ولدنا فيها. غير أن أرضها سهول منخفضة

تغمرها مياه الأمطار بين حين وآخر فلا ينمو فيها سوى الأزهار. هو سبب عدم وجود أي أثر للحيوانات..»

أخذت النحلات الفتية أجنحتها في أفواهها لتلوكها قائلة: «هكذا الأمر إذن» واستمرت النحلات في حياتها على هذا المنوال، ومرت شهور وهي تفكر وتتشاور في غياهب الخلايا، وخلال رحلتها إلى الزهور. لكنها لم تتبين بعد ما ستفعله وما ستقدم عليه.. لم تقدر على اتخاذ قرار بالقضاء على الثعابين، والعودة إلى حياتها الطبيعية.

وخطر على بالها شيء: تلك التي أمرت بكتابة «إكثار الإنجاب» على الصخرة المدببة.. تذكرت خطة تلك الملكة وتناقلتها الآذان مكررة عبارة «إكثار الإنجاب» وهي تهدف في قرارة نفسها تحقيق الهدف عن طريق زيادة النسل. ولكن كيف تطبق هذه الصيغة؟.. وأين؟.. ومتى؟.. فلا تصل إلى رأي واحد في ذلك، وتستمر الحياة على ما هي عليه.

وكيف تتكاثر النحل؟ إذ لا عسل، ولا إخصاب! فما تظنه ملكة للنحل تلتهم أفضل أنواع العسل، ثم تسرح وتمرح.. وفي أغلب الأحيان تبتلع النحل ابتلاعاً جماعياً. لقد تعود الثعبان الأعور على أكل النحل كذلك.

وفي رحلة الزهور قامت نحلة عجوز من بين النحلات المنفية، فاستجمعت قواها، ونظمت حفلة عظيمة على أحد أغصان الزهور، وحينها وقفت العاملات مشدوهة. قالت هذه النحلة في معزوفتها: «أنا على عتبة الموت. أفقْنَ من غفلتكن. إن أولئك الذين جثموا على صدورنا من الأسياد الضخمة ليسو إلا ثعابين، أبلغن النمل عني، فهي ليست من

نسل الثعابين، بل جيرانكن، ولعلها من بنات جنسكن، لقد نسيت تقاليدها، تغذت بعسلكن من غير عمل، وخدمت الثعابين!!

سقطت المسكينة بعد انتهاء المعزوفة جثة هامدة، ودفنت في موكب حزين عند أصل إحدى الزهور.

في ذلك اليوم عادت النحلات واجمة صامتة، وفكرت وتهامست فيما بينها في أعماق الخلايا. عندها أدركت كل نحلة الحقيقة. ولكن ما الذي تستطيع أن تقوم به حفنة من النحل؟ ليس بمقدورها قتل ثعبان واحد بإبرها.. فكيف بها في قتل مئة؟!

قالت نحلة فتية:

- «إذا متنا نحن فسيجوع الثعابين»

وجاءها التحذير من عجائزها:

- المهم أن تبقى هذه الجزيرة موطنا لجنسنا وعرقنا. وإلا فما الفائدة منها إذا ما صارت مقبرة؟»

ضاق صدر النحلات الفتية بما سمعت، فأزت وطارت، ثم حامت حول الثعابين تراقب أحوالها وتعرفها على حقيقتها.

وكان من الطبيعي أن ينزعج الثعابين. كما أن النمل صارت تسوم النحلات الفتية سوء العذاب..

لقد تحولت النمل إلى مصيبة، فلم تعد تعير النصائح سمعا. وما إن تحط نحلة على الأرض حتى تبادر النمل لاستجوابها، أما إذا حدث أن أدت نحلة معزوفة تحكي قصة احتلال الأفاعي، فلا تلبث أن تقع في

أيدي النمل التي أكلت من عسلها، فتعذبها تجرها إلى جحور الثعابين. ولا أقل من أن تهينها وتدوس على كرامتها. ومن سقط في جحر الثعبان فهو ميت. وأبسط الأحوال أن تتعرض للسع خفيف من العقارب.. فتصاب بالشلل، أو تؤمر بحفظ لحن من ألحان الثعابين وترديده مدى الحياة!!

وفيما عدا ذلك كان ديدن النمل أن تحفر في الأرض، تهيئ أعشاشاً لما تلده الأفاعي. فلا يلد الثعبان حتى يكون الجحر الواسع الفسيح مهيأً ويزود بأقراص العسل... ومن المفروض أن تتجاذب النمل بعضاً من تلك الأقراص. كانت تقوم بتنفيذ حكم الثعابين على الأصدقاء القدماء أصحاب البلاد الحقيقيين.

ومهما يكن من أمر، وأودى ذلك بحياة الكثير من النحل، فإن القيل والقال بدأ ينتشر بين النمل لتعرف أن ملكة النحل ما هي إلا ثعبان، وأنه أعور. فقامت النمل ببعض المحاولات، ونجحت أخيراً في استعاضة ملكة النحل بسيد من أسياد النمل وترئيس عليها. فقد أسلمت زمام أمورها واحداً من بني جلدتها. فهل سعدت النحل بهذا التغيير؟ الوقت كفيل بالإجابة على هذا السؤال. فقد كانت النتيجة المباشرة لهذا التغيير زيادة طغيان النمل. ولعل الأمر المسر هو زيادة حالة الغليان لدى النحل والتفكير في طريقة للخلاص والتحفز لتنفيذها، وأنى يكون لها ذلك، فما تفتأ تئز وتدور في الخلايا الفارغة.

من جهة أخرى:

كان الثعبان الأعور يتقلب في عالم الشهوة والملذات، لقد تعود أخيراً على التغذي بالرحيق وحليب النحل مضيفاً إليهما بعضاً من حامض

النمل، وما إن تشتد الحرارة حتى ينطلق من فوق الصخرة المدببة كالسهم فيغوص في البحر، ثم يخرج منه إلى الساحل متلَوِّياً ويسلم نفسه للنوم. فبهذه القفزات أثبتت مرة أخرى أنه سيد طيار للنحل دون منازع.. لكن الثعبان الأعور تقدمت به السن، والأصح أن صحته تدهورت بفعل ما ابتلعه من رؤوس النحل وما احتساه من العسل الذي خلطه بحامض النمل. وفي الأيام الأخيرة أعلن أنه سيقوم بعملية الإخصاب، فبدأ يزحف من فوق الأقراص، ويطأ ظهور النحل. وبذلك يفني النحل ويسحق الخلايا.

وذات يوم لطيف من أيام هذه الجزيرة التي يغلب عليه اعتدال المناخ في الصيف والشتاء، كان الثعبان الأعور والآخرون يمتعون أنظارهم بمراقبة الأفق، وقد أحاطوا بالصخرة المدببة كالأحزمة. وأطراف أذنابهم في حركة دائبة يتجاذبون الحديث بإخراج ألسنتهم.

- قال الثعبان الأعور: «طس»!!

فرد الآخرون:

- «إصص»!!

- قال الثعبان الأعور محتداً: «هششش»!! فابتلع الباقون ألسنتهم. وساد الصمت.

فقد سأل الثعبان الأعور: «هل أنا مريض؟» فأجاب الآخرون: «نعم» فغضب، وقال: «أيها الأعوان الأغبياء!» «ثم تلوى ونصب رأسه وطفق يراقب البحر بعينه السليمة، وفجأة قال: «فشش» فانفرجت الأسارير.

كانت إحدى السلاحف تحييهم من الشاطئ قائلة: «جق جق.. جاق.. جق» إذ تحييهم باعتبارهم «أبطال بلاد العسل» . انتصب الثعبان الأعور وقال مخاطباً السلحفاة: «سأعطيك ما تطلبين من العسل إن أخذتني في جولة إلى عرض البحر».

أومأت السلحفاة برأسها، وأدارت ظهرها، ورست عند اليابسة. التهم الثعبان الأعور قرصاً من العسل ممزوجاً بقليل من حامض النمل فانتشى، وألقى بنفسه كالسهم في الماء. رأت النحلات التي كانت تتطاير هنا وهناك ذلك فأحست بنوع غريب من الفرح. كانت فرحة يصعب تأويلها. ولعلها شيء من الارتياح من التشبه بها حتى وإن عرفت بأنه ثعبان. وربما كانت نوعاً من سيكولوجية الأسر أو غيرها.

لم يكن ذلك مهماً، إنما المهم هو الذي حدث في تلك اللحظة: فقد تلوى الثعبان كعادته وخرج من الماء.. فهو يستطيع السباحة في الماء الضحل بعض ثوانٍ.. واستدار حتى انزلق فوق ظهر السلحفاة، وأخذ مكانه.

وحدث أن كانت عينه السليمة إلى الأمام. ينظر بها إلى رأس السلحفاة ويكلمها ببضع كلمات يعرفها من لغة السلاحف. الثعابين الأخرى واقفة على رأس الصخرة، وكل النمل وقفت فوق مرتفع تراقب النزهة البحرية التي يقوم بها سيدها. ابتعدت السلحفاة كثيراً عن الساحل. مما أقلق من في البر. إذ قد يذهب سيد الجزيرة ضحية سلحفاة، كما استبد القلق بالثعبان الأعور. حتى إنه أرى السلحفاة لسانه السام وقال:

- «فص.. فوصص». كان يقول لها: عودي وإلا لدغتك. أما السلحفاة فقد كانت شديدة الغباء، خافت، لكنها كانت تعيش في هوى العسل الذي أُهدي لها. وإلا فإنها بحركة انكماش لرأسها. ورجليها وبانقلاب على ظهرها يجد الثعبان نفسه في الماء، فلم تقدر أن تفعل شيئاً، بل لم تقدر على مجرد التفكير، ومع ذلك فقد توقع من في البر حدوث ذلك..

عادت السلحفاة واقتربت من الساحل. وانتصب الثعبان الأعور وقد أخذته نشوة القائد المظفر مرة أخرى، وطلب إجراء رقصة نحلية.

وهنا حدث ما حدث: فقد توازنه بسبب نشوته وبسبب ما شربه من حامض النمل، فهو لم ير الجهة التي تقع عليها عينه العوراء. فانزلق فجأة فغمره الماء، وبدأ يتخبط. أما السلحفاة فقد ابتعدت عنه بسرعة، وعندما عادت وجدت الثعبان الأعور ملقى على ظهره متمدداً بطوله فوق الماء.

غاصت السلحفاة، ودخلت من تحته، وحملته على ظهرها، وعادت به إلى الشاطئ. وبدا أن الثعبان الأعور أفاق بعض الشيء فلدغ الرجل اليمنى للسلحفاة. فاضطربت السلحفاة، فوقع الثعبان في البحر مرة أخرى!!

تحاملت السلحفاة على نفسها بدافع الشعور بالذنب متناسية ألم اللدغة واحتملته على ظهرها ثانية، وجاءت به إلى الساحل، وبقلبة واحدة قذفته على رمال الشاطئ، لكنها بقيت مقلوبة على ظهرها في اليابسة فهاجمتها الثعابين ولدغتها من رأسها وأطرافها اليمنى.. ثم

عادت تبحث عن رئيسها. فوجدوه ملقى فوق الحصى جامداً بلا حراك. وكان هناك أمل في إفاقته لو لم يستخدم سمه في اللحظة الأخيرة، فلا أمل يرتجى!! وبدأت الثعابين بالصراخ والعويل وهي تضرب بذيولها الماء وبرأسها الرمال. لكن الثعبان العنيد لم يذرف دمعة واحدة، إذ قام بتهدئة الثعابين الأخرى قائلاً:

- «سنحيي ذكرى الثعبان الأعور». كان الثعابين يعدونه أباً لهم، ففكروا في إنشاء ضريح له، وإذ بهم يفصلون جسد السلحفاة ويأكلونه. ويدخلون الثعبان الأعور داخل قشرتها حلقة بعد حلقة.

وتحنطه النمل بالحامض. كما تحاصره العقارب بسمومها..

وبعد أيام بدأت الثعابين بإعداد نصب لذكراه على الصخرة المدببة. ونفذت خطة الثعبان المستضعف بنصب تمثال له من جثث النحل بحيث تكون رؤوسها في الجانب الخارجي.

في هذه الأيام حدثت بين النحل بعض التحركات. فكانت كل نحلة تقول: إن هذا السيد الميت لم تكن ملكة النحل، فقد رأته بذنبه الطويل المرقط عندما انتشل من البحر. وسقطت عنه رؤوس النحل الملصقة به في الماء. وظهرت أمام الملأ قشرته البشعة بكل خباياها. ولم يسمح لأحد بالاقتراب من الثعبان المحنط. وجاء التحذير إلى النحل من النمل، حيث طُلب منها أن تتوجه إلى تمثاله على رأس الصخرة المدببة وتتفحصه من مكان قريب. ولما كانت النحل بالآلاف الستة من العدسات ترى كل شيء على مستوى واحد، تفحصت رأسه واعتبرته رأساً من رؤوس النحل، وعادت إلى الخلايا بعد أن قبلت بما تدعيه النمل.

ثم عادت إلى أعمالها وتواصت بصنع العسل الكثير والعيش الطويل. وأزت وطارت نحو جزيرة الزهور... وعادت فملأت الخلايا. كانت النحل تشعر بفرح غريب كذلك. فكما انخدعت قليلاً بأن الأفاعي ما هي إلا أسياد كبيرة للنحل، اعترى النحل شعور بهذا الاضطراب الغريب فقلوبها تهفو لأن يكون حكامها منها. وليت هؤلاء الحكام شاركوها رقصة النحل والعبادة في الصباح، فالفرح عند كثير من النحل يجعلها تحط على الأرض وتأكل التراب. فأكل التراب هو أقصى غاية التطرف في تصرفاتها.

في تلك الليلة هجعت النحل في خلاياها بحبور وسرور، هجعت، لكنها صحت في الصباح على مفاجأة:

كانت الأفاعي في صراع رهيب، فقد وقع الخصام بينها. تتدلى على الأشجار وتتسلق الصخور. وتهاجم بعضها بضربات من أذنابها. وأسفر هذا الصراع الذي استمر حتى وقت الظهيرة عن مقتل أكثر من نصف الأفاعي، كانت متمددة على الأرض وقد انسلخت عنها رؤوس النحل.

لقد ظهرت كل جثة على حقيقتها.. رأت هذا المشهد كل نحلة وكل نملة وفهمت أصل الموضوع، ولكن من يجرؤ على الإعلان. ثم إنه لا داعي لذلك، فهو واضح لكل ذي عينين. وقبيل الغروب كانت النمل قد ملأت بطونها من جثث الأفاعي المتفسخة. ثم تحدثت فيما بينها محركة شنباتها الطويلة:

- «جزز.. جت»، أرأيتم، لقد كنا مخدوعين. فيرد أسياد النمل بفرك شنباتهم الطويلة المضاعفة:

- «جسسس...»، اسكتوا، الكلام ممنوع.

أما في قطاع النحل فقد سادت الصمت والوجوم. فمع غروب الشمس امتلأت الخلايا وغرقت في السكون. فهي تنتظر خروج ملكة النحل الفتية وإلقاء خطابها الإشاري، بعد أن نشأت وترعرعت منذ بداية العام في برج سري تحت الأقراص. والذي شجعها على ذلك هو أن من بقي من الثعابين على قيد الحياة جريح ومنهك ملازم لجحره. أما العقارب فهي قليلة العدد وقد اختبأت بين النفايات على رمال الساحل خوفاً من أن تدوسها الأقدام وتسحقها، ولا تدري شيئاً عن انتهاء الحرب الأهلية.

وجاءت ملكة النحل، «تلك الملكة التي نشأت سراً. وحركت أجنحتها محيية النحل. وأوجزت في كلامها الإشاري طبعاً.. فلا تقدر النحل أن ترفع الصوت. كما أنها لا تشعر بالثقة في النمل بعدُ. ذكرت ملكة النحل ثلاثة مبادئ:

«سنحذر النمل، ونضاعف أعدادنا، ونهاجم قبل فوات الآوان».

لقي المقطع الأول من اللحن تصفيقاً صامتاً، إذ استلقت النحلات على ظهرها وفركت أرجلها ببعضها. والمقطع الثاني (أي البيان الإشاري) أضحكت النحل جميعاً. وطبعاً بدت أسنانها، إذ لا مجال لإطلاق الضحكات. أما في المبدأ الثالث، فقد أومأت برأسها معاً أن «نعم من غير شك» دهشت الملكة الفتية من هذا الموقف الغريب. فالمعروف عند النحل أن الجواب يكون بنعم أو لا. سأل عن السبب:

اقتربت نحلة عجوز منها وهمست في أذنها، سرت الملكة الفتية سروراً عظيماً كما اصطبغ وجهها بالحمرة من شدة خجلها، قالت لها شيئاً يحيرها ويبشرها ويخجلها في وقت واحد:

نعم لتحذير النمل وهو المطبق منذ أيام. وقد اقتصرت الملكة الفتية في برجها العاجي على مجرد التفكير.

أما بالنسبة لإكثار العدد، فبماذا.. ومتى؟... وهو ما أضحكها. لأن تعب الثعابين يستغرق ثلاثة أيام. ومن الواضح أنها عندما تصحو ستقوم بعملية إبادة ضد النحل.. وقد وصلت أخبار بأن الثعابين التي انتصرت في الحرب الأهلية ستتدرع بطبقات سميكة من الشمع وتجثم فوق الخلايا لتمتص كل ما تنتجه النحل من عسل. قيل إنها قامت بثورة وهذا من مقتضيات الثورة، ولا حاجة للأدوار القديمة.:. وأن النحل لم تأخذ دوراً في الحرب الأهلية فاستحقت الظلم.

أما الأمر الثالث فلم يكن يستند إلى شيء فقوبل بسخرية: «طبعاً طبعاً..» وقد شرحت النحلة العجوز للملكة الفتية خطة، وطلبت تنفيذها، مما جعلت الملكة الفتية تقوم بحركة أو حركتين معبرة عن رغبتها بالاستقالة فوراً وإعلان الولاء للبطل المجهول. لكن النحلة العجوز هدأتها قائلة: «لا تغيير في الرئاسة قبل تحرير البلاد» فاصطحبت النحلة العجوز إلى البرج العاجي. وأخلدت النحل جميعاً إلى النوم. وفي اليوم التالي طارت كل نحلة ضمن خطة اطلعت عليها وعرفتها حق المعرفة. ووصلت إلى جزيرة «كن» وجمعت الزهور وعادت على عجل.



﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النحل]

خطة الخلاص المدهشة

في الجلسة الصامتة من تلك الليلة وقعت حادثة أفرحت الملكة الفتية وأخجلتها. وقعت الحادثة وانتهت من غير أن تدري بها الملكة الفتية. فما أدركته فكرتها هيأت له النحل قبل شهور. وهي الآن في طور التنفيذ، فما أفرح الملكة الفتية وأطربها هو بشرى الوصول إلى هذه المرحلة. ولما قدمت الخطة على أنها ابتكار جديد، وفهمت أنها تأخرت في ذلك احمرت كالبحر الهائج... وهذا هو سبب الإجابة الغريبة من النحل. ولما همست النحلة العجوز، وأخبرت الملكة الفتية بالوضع، أوشكت على أن تهتف «فلتحيا» لكن أزيزًا قطع عليها عزمها، لكنها أثارت شبهة العقارب التي تحرس باب الخلية وكذلك غبيات النمل، فداهمت الخلية، إلا أن النحل كانت يقظة جداً. لقد تظاهرت النوم وبدت هامدة فظن الحراس أنهم وقعوا في خطأ فانسحبوا.

ما هي إذن هذه الحادثة المدهشة؟

ملخص هذه الحادثة: أن النحل عثرت على وصية تلك النحلة العجوز التي نفيت إلى جزيرة الزهور، وماتت بعد أن ألقت خطبة في النحل، ثم دفنت عند أصل إحدى الزهور. وبعد شهور من هذه الحادثة وبينما كانت إحدى النحلات تجوب بين الزهور وتفكر في الوسيلة التي

سيتم بها تحرير الجزيرة، زلت قدمها فسقطت عند أصل وردة. وبينما كانت تحاول النهوض تعثرت بورقة ورد يابسة فاتكأت عليها ونهضت على قدميها مرة أخرى. كانت ورقة وردية اللون تشف ما وراءها من ضوء الشمس وينعكس ظلها على ظهر حصاة ملساء. على هذا الظل قرأت النحلة ثلاث كلمات مكتوبة السنة لا تهب رياح موسمية: «لا تهب رياح السنة». لم تفهم النحلة العاملة شيئاً ولكن الورقة شدت انتباهها، تحسست الكتابة بقدمها فوجدتها غير مكتوبة على الحصاة. وعندما لمست الورقة اليابسة رأت تلك الكلمات تهتز باهتزاز الورقة. عندها تذكرت نشيد العاملات بكلماته الثلاث: «كل شيء بالورق». وبدأت تترنم بها. لأن النحل لا تقوم بعمل إلا إذا كان ملحناً. ورأس المال الأساسي للعاملات هو الورق. كانت النحلة تتمتم وهي تحاول تسلق الوردة. كما أنها أعملت فكرها لإيجاد صلة بين ظل الكلمات الثلاث وبين النشيد ذي الكلمات الثلاث.

في تلك الأثناء ضحكت عاملات العسل وهي تجمع الرحيق من الأزهار المجاورة. وقالت مداعبة:

- «كل ميسر لما خلق له». وصاحبتنا تغني أنشودة الورق. هلا صعدت الأغصان؟» فنحلة الورق كانت تمضغ الورق وتصنع هياكل الخلايا. فردت عليهن بأرجوزة:

«لكنها ورقة ورد، وعليها كتابة لم أستطع أن أقرأها، وكلمات لم أقدر على فهمها، وألغاز لم أصل إلى حلها، وقد يبست فلم أهنأ بعطرها».

غرقت النحلات في الضحك، ثم قالت:

«يبدو أن صاحبتنا صارت شاعرة»

وفي لحظة لم يدر أحد ما حدث تعرضت شجرة الورد الوحيدة بجزيرة الزهور لرجفة عنيفة فسقطت النحلات الثلاث في أسفلها. تماسكن ببعضهن وحاولن النهوض، وبينما هن كذلك وقع نظرهن على تلك الورقة اليابسة. أزت النحلة العاملة ثلاث مرات مشيرة إليها:

- «هاأنتن لمستنها».

انتبهن، فنظرن إليها وقرأن معاً»:

- «السنة لا تهب رياح موسمية». قرأنها دون فهم لمعناها... ولكن تذكرن نشيد رحلة العاملات فصرن يرددن: «من جد وجد، ومن نزل صعد».

فالموضوع جذب اهتمام النحل في الجزيرة كلها. فدعت نحلة صغيرة خبيرة تعرف القراءة والكتابة وطلبت منها أن تتفحص ورقة الورد الجافة: استخدمت عيونها ذات الآلاف الستة من العدسات لكنها لم تر شيئاً. إلى أن أمسكت بالورقة وتفحصتها على ضوء الشمس كما يتفحص الأطباء فيلماً من الأشعة. عندئذ تمكنت من تمييز كتابة النحل. ولما بصقت نحلة على الورقة وعرضتها على ضوء الشمس ظهرت الكتابة واضحة جلية «السنة لا تهب رياح موسمية» وتحت الكتابة توقيع النحلة العجوز. هرعن إلى الوردة التي دفنت في أصلها تلك النحلة. وجدن مكانها كما وجدن وردة صغيرة نبتت بجانبها.

عرفن أن النحلة العجوز خبأت في صدرها بذرة ورد. تفحصن وريقات الوردة فوجدن نفس العبارة عليها. فرددن معاً:

«هذا أثر قدرة الخالق. أوحى إلى نحلة، ليحيينا» هذا اللحن كان يتردد كل صباح أثناء العبادة.

ومنذ ذلك اليوم اختمرت في الأذهان خطة الخلاص المدهش. جئن بالخبر إلى الخلايا فعم الفرح. واستمر التفكر فيه أياماً، فلم يزد فهمها على أن جزيرة «كن» لن تتعرض للسيول مرة كل ثلاث سنوات. فقد أضعفت سنوات الأسر قدرة النحل على الإبداع، فلم تقدر على تحليل الموضوع طولاً وعرضاً.

ولكن من جد وجد. فالبحث الطويل الدؤوب أكسب النحلات الفتية المعذبة تراثاً ثقافياً، فبعضها استخلصت من هذه العبارة أن جزيرة الزهور ستكون آمنة في العام المقبل. ومر شهر على ذلك، فاقترحت نحلة فتية الهجرة إلى هناك. وحياة عام تعد حياة حقيقية!!. لكن الأكثرية لم ترض بهذا الموت المحقق...

اقتربت هذه المناقشات من النهاية قبل سنة وثلاثة شهور من النزاع الداخلي الشهير بين الأفاعي.

«أبواب الفرح عند ربك كثيرة. وسيمحص الله مخلوقاته العاملة الدؤوبة النافعة، ثم يأخذ بيدها إلى النور والضياء».

بهذه العبارة كانت النحل تجد آخر سلواها».

هناك صعوبات كثيرة تعترض طريق النحل. ذلك بأن الثعابين أفسدت عليها لغتها، سمتها «لغة النحل» لكن النحلات الفتية أجبرت

على استعمال لغة الأفاعي، والحق أنها لم تتبنها، فكانت تسميها «لغة الضفادع» ومع ذلك فإنها تستعملها شاءت أم أبت.

كانت ذوات الخبرة من النحل تجد صعوبة في تفهيم أهدافها وخططها. كما أن النحلات الفتية لا تستطيع قراءة المذكرات القديمة لتغير الكتابة النحلية، وفشلها في ترتيب خطة مرده إلى الفساد الذي طرأ على العرف النحلي.

وذات يوم حدثت أهم حلقة من سلسلة الأحداث. كانت قبل صراع الثعابين على السيادة بعام كامل: فخلال تعليم الرقص في أحد جحور الأفاعي قالت نحلة صغيرة لصغيرتين من النمل والأفاعي:

- «سأنشد لكما لحناً». واعتلت ظهر حصاة وقرأت مقطوعة مكتوبة على وريقة أقحوان بلعاب النحل ومنقطة بحامض النمل:

- يا أصحاب البلاد! قاطعوا لغة النحل،

هاجروا إلى جزيرة «كن». لا يخدعنكم الثعابين فلونكم معروف. انتبهوا يا معشر النمل!...». ومن حسن الحظ تعرضت للهجوم قبل أن تتابع. وكانت التتمة هكذا: «جزيرة «كن»، الأم والأولاد، الأطفال.. قب.. فر.. صوك.. صو...» لم تجد الفرصة لإتمامه لأن كل من كان هناك من أقزام الأفاعي والنمل والعقارب استنكرت ذلك وهجمت عليها. وكانت الحصاة عالية إذ طارت قبل أن تصل إليها. ولحقت بها النحلات الصغيرة الأخرى.. وغابت في الخلايا. أما هذه الصغيرة الذكية فقد اختبأت تحت أحد الأقراص. كما ألصقت الخطة بجناحها. وكثرت

العربدة والصفير في الخارج. فما كان منها إلا أن خرجت من خلف الخلية وغاصت في التراب. وبقيت على هذه الحال إلى أن حل الظلام فأوت إلى خلية أخرى، واختبأت تحت أحد أقراصها ولبثت هناك أياماً.. ومن حسن الحظ أن بقية الصغار لم تحفظ من الأنشودة سوى أن قالت: «سيئة»، ولم تفهم الثعابين معناها، فلم تقف عندها. ولكن كلمة «جزيرة كن» كان لها وقع الصاعقة على رأس الثعبان الأعور جعلته يخطط لتفتيش ذلك المكان.

وهذا هو سبب تسلقه ظهر السلحفاة. لم يطلع أحد على سره حتى أقرب مقربيه من المحتلين. ووجد في طلب السلحفاة العسل فرصة جيدة وفسيعطيها ما تشاء من العسل في سبيل الاتفاق معها.

طلب عشر سلاحف على الأقل ليرسل معها عشرة من كبار الثعابين إلى جزيرة «كن» هدفه أن يعرف إن كان للنحل قاعدة هناك فيقضي عليها. وإذا وجد هناك مزيداً من النحل وقعت معركة وماتت هذه الثعابين المسنة. والحقيقة أنه أخذ وعداً من السلحفاة ألا يمر على تلك الجزيرة مرة أخرى وألا يعيد تلك الثعابين إلى جزيرة النحل. وعندما تم الاتفاق عادا وكأن النزهة قد انتهت.

أما في الجهة الأخرى فإن النحلة الصغيرة الذكية لم تقف مكتوفة اليدين: فخلال اختبائها في الأيام الثلاثة أضافت إلى خطتها بعض التدابير الجديدة حتى بلغت مرحلة ليس فيها أي احتمال للفشل، فقد وضعت خطة أخرى ضمن الخطة الرئيسية فإذا فشلت إحداها بادرت إلى تطبيق الأخرى.. وكان من مقتضياتها إعداد فدائيات. وقد بدأ تطبيق ذلك فوراً.

وفي تلك النزهة البحرية المشهورة كان السبب في إسقاط الثعبان الأعور في البحر عشرة من الفدائيات. فعندما أبحرت السلحفاة حلقت الفدائيات فوق البحر من الجهة الخلفية واتجهت صوب جزيرة «كن». وعندما بدأ الثعبان الأعور بالرقص في رحلة العودة حملتا عليه من جهة عينه اليمنى حملة واحدة، وأعملت إبرها في رأس فاختل توازن الثعبان من وقع المفاجأة، فسقط في الماء، ورأتها السلحفاة ولكن إحدى النحلات لسعتها في رأسها فمنعنها من إفشاء الأمر عند وصولها إلى الشاطئ.

كما أن هناك قدرات سرية ساعدتها. فقد ظن الثعبان الأعور أن السلحفاة تآمرت مع النحل ضده، فلسعها عندما تسلق ظهرها مرة أخرى، فشلّها. كما أن انقلاب السلحفاة على ظهرها عند وصولها إلى الساحل، وإدانة الثعابين الأخرى للسلحفاة وقتلها من العوامل التي ساعدت خطة النحل على النجاح، وبقي السر مكتوماً.

أضف إلى أن النحلات التسع الباقية لم تستخدم إبرها فوصلت إلى الشاطئ بسلام ولم تمت سوى فدائية واحدة تولت لسع السلحفاة.

هذه الفدائيات التسع صارت من تلك اللحظة رؤساء لتسع خلايا. مما ضاعف من الأمل لدى النحل.

ومن حيث الأساس فإن ما حكيناه هو تفاصيل لما حدث بعد موت الثعبان الأعور، وبعد نوم الأفاعي في الأيام الثلاثة التي أعقبت المعركة الداخلية بين الثعابين. وتم القسم الأول والأساسي من الخطة على النحو الآتي:

لقد انتخبت النحلة الصغيرة بعد ستة أشهر مربية بالتصويت الإشاري. وأصدرت توجيهاتها إلى الخلايا وفق ما يلي:

١ - القيام بتربية وتنشئة ملكة النحل بصورة سرية.

٢ - أن تخرج ملكة النحل ليلاً للقيام بعملية تلقيح.

٣ - أن تخرج النحلات البياضة، كما تخرج العاملات إلى جزيرة «كن» وتضع بيوضها هناك ثم تعود.

٤ - أن تبني العاملات خلايا من عجين الأوراق وتنقل إليها الرحيق.

٥ - أن تطير صانعات العسل أيضاً إلى جزيرة «كن» دون أن يشعر بها أحد، وتحول الرحيق عسلاً وتضعها بجانب البيوض.

٦ - وعلى النحل جميعاً أن تعود إلى أوكارها ليلاً حتى لا تشتبه الثعابين بالأمر.

٧ - وهذا هو سبب الخطة:

لن تشهد جزيرة الزهور هذا العام سيولاً، لذلك فمن الممكن إنجاب ستة أجيال من النحل على أقل تقدير. بحيث يكون مجموعة النحلات الفتية مئة وخمسين ألفا. فتقوم النحل المحتشد هناك بغارة رهيبة على الوطن الأصلي في يوم مناسب وتقضي على كل الخونة والمحتلين.

٨ - ولتطبيق هذه الخطة وضعت ثلاثة مقاييس:

أ - أن تعد كل نحلة نفسها في عداد الموتى، بعد أن تلسع الأفاعي وتنفخها.

ب - أن تعلن من بقيت من النحل حية الصداقة مع النمل.

جـ - أن تقتل العقارب بصب الماء عليها، لأن العقارب إذا رأت الماء تنتحر..

هذه هي القصة التي حكيت لملكة النحل الفتية. وقد نجحت الخطة. إذ كان في جزيرة «كن» مئة ألف من النحلات المحاربة، اقتصر عملها على التغذي بالرحيق والتدريب على الأجنحة وتجريب غرز إبرها في التراب كما تتدرب فوق البحر على الحركة الثنائية: الحط والإقلاع. وإلى جانب ذلك تتلقى دروساً في التعبئة المعنوية ومعلومات عن بلاد النحل الجميلة السليبة وتتربى على حب الأرض والوطن. مرددة نشيد «الموت للأفاعي والعقارب، النمل منا ومعنا». ومن جانب آخر فقد كانت الأزهار سكان جزيرة «كن» الأصليون في قمة النشوة والسعادة، لأن آلافاً من النحلات الفتية تحط عليها كل يوم وتقبل عيونها أكثر من مئة مرة، وتلعق شفاهها، وتمتص رحيقها، وتداعبها من داخلها وخارجها، فتطرب الزهور طرباً لا مثيل له، فتنثر تحت أقدامها كل ما بداخلها. فتنتشر النحل موجا بعد موج، وتتماوج معها الآلاف المؤلفة من الزهور «ليت الأيام تدوم» لكنها إلى جانب ذلك لا تهمل أن تختلي بنفسها في الليالي وترفع أيدي الضراعة إلى خالقها حتى الصباح أن تتحرر بلاد الأحبة.



﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت]

كيف تحررت مملكة النحل؟

في تلك الليلة التي أعلنت فيها الملكة الفتية المواد الثلاث من خطتها عن طريق الإشارة، كانت اثنتان منها جاهزتين، فاعتبر هذا الإعلان أمراً بالهجوم، والأصح أن النحلات تركت إعطاء الأمر للملكة الفتية تطبيقاً لأعراف النحل، لأن الأوامر يجب أن يصدر من الرأس. وأجابت النحل بالسمع والطاعة، فلم يبق إلا النصر أو الموت.

في تلك الليلة التي دخلت فيها الملكة الفتية مع النحلة العجوز إلى القسم السري من الخلية، وسهرتا حتى الصباح، تنظران في عيون بعضهما كعروسين في ليلة الزفاف فسحبتا ضياء الفجر إلى أفق الجزيرة.. في تلك الليلة همست النحلة العجوز قائلة:

- «إننا نقوم بأجمل وأصدق عبادة في حياتنا، عيني في عينك نرقب صبح النحل القريب، وبشعور الامتنان والاحترام أحنت رأسها، وابتسمت ابتسامة عذبة، ثم عبرت عن نيتها بقولها:

- «بعد أن يتم النصر أكون مستعدة لإعلان الطاعة لتلك النحلة الصغيرة».

قالت النحلة العجوز:

- «لكن على تلك النحلة الصغيرة المحظوظة أن تموت. فستكون أول من تهاجم.»

لكن ما لا تعلمه تلك النحلة العجوز تعلمه الملكة الفتية، فأعلنت ضاحكة:

- وعلي أن أخبرك بأن ما ظننته من العاملات ما هو إلا ملكة للنحل. وقد أنحفتها المحنة، فستأتي لتأخذ مكانها في الخلية». وتعانقت النحلتان أشد ما يكون التعانق، وماتت النحلة العجوز فرحاً. ماتت وهي في قمة السعادة!..

بزغ الفجر وما زالت الثعابين في نومها لليوم الثالث، وما زالت رؤوسها في جحورها، وجزء من أجسامها تحت الشمس. والعقارب تنتظر على أبواب الخلايا، وما لا يعلم عن الخطة من النمل يختال في مشيته بعد أن صحا مبكراً في حركة منه لإظهار الولاء للثعابين. أما من كان منهم على علم بالخطة فوقف على مكان مرتفع يترقب وصول القوات المهاجمة من جهة جزيرة «كن»! رضيت النمل أن تقف بجانب النحل في المعركة بشرط أن يكون عددها من الكثرة بحيث يسد أفق الجزيرة عند بزوغ الفجر يوم الهجوم وأن يردد الجميع هذا النشيد بصوت واحد:

- «النمل أصدقاؤنا».

وقبيل بزوغ الفجر فرغت الخلايا، وطارت النحل متظاهرة بالذهاب إلى العمل، حتى إنها تصنعت الحزن - وفق ما اتفق عليه مساء البارحة

- لما حدث بين الثعابين. والحقيقة أنها كانت تضحك في سرها وقلوبها تخفق من الفرحة. كما أنها اتفقت مع النمل بمقتضى الخطة أن تصب حامضها على مخزون العسل في الخلايا حتى يثمل من يأكل منه. فإذا حدث أن صحت الثعابين باكراً فستلتهم كل العسل وتسكر، وهذا من مقتضيات الخطة.

الأشجار والأحجار والتراب والأوراق، كل شيء كاد أن يتصدع من الترقب والانتظار. ولاح وجه الشمس في الأفق. النحلات العاملة التي خرجت من الخلايا، استقبلت أسراب الهجوم القادمة على بعد مئة ميل نحلي فحيتها، وعادت معها متقدمة جموعها تدلها على الطريق لأن النحلات الفتية لا تعرف ما الجزيرة؟ وما الصخور؟ وما الشجر؟ وما الخلايا؟!، وما الأفاعي وما العقارب؟! كان على النحلات المحلية أن تقودها وتوصلها إلى الهدف..

التحفز في الجزيرة بلغ أقصى حدوده. فالنمل المتنبهة أي النمل التي فهمت أنها ليست من جنس الأفاعي بل من فصيلة النحل في حالة ترقب، لأن الأفاعي بدأت تحرك أذنابها بفعل الحرارة، وماذا لو أفاقت؟! أو تأخر هجوم النحل؟ إذ لا حياة للنمل بعد النحل....

في تلك اللحظة صعدت نملة كبيرة إلى قمة الصخرة الحادة ترقب الأماكن البعيدة، وفجأة صاحت:

- «إنها قادمة!....».

وقبل أن تصل أسراب النحل إلى الجزيرة، هجمت أفواج النمل

المتحفزة كالسيل، فقرصت العقارب وحاصرت الأفاعي. وبدأ الهجوم فحطت خمسة آلاف نحلة من مقدمة المهاجمين على ذيول خمسين أفعى فانتفضت الأفاعي من جحورها، وقد انتفخ نصفها السفلي كالطبل من اللسع. كما فقدت صوابها من الجوع والألم وارتمت على الخلايا، وراحت تلتهم كل ما تصادفه، وما تراه من عسل. فسكرت بفعل حامض النمل وأحست بالعطش فلجأت إلى الشاطئ طلباً للماء، لكن قواها خارت وعجزت عن متابعة السير، فتكدست فوق بعضها بعضا عند الشاطئ صرعى دون أن تحظى بشربة ماء. وبدا الشاطئ محاطاً بحزام من الجلود.

ووصلت عشرات الآلاف من النحل، لتشفي غليلها بقضمات من الأفاعي الميتة ومن التراب. وغطت أفق الجزيرة سحابة حمراء ودمدمة رهيبة. حتى إن الجرذان في جزيرة السور سمعت بها فاختبأت في جحورها. ولجأت السلاحف إلى الشواطئ طلباً للأمان.

ولا بد أن أذكر أن ذلك الصياد العجوز رأى المعركة بأم عينه. وحسب ما روى فإنه بعد أيام من قدومه إلى الجزيرة بقاربه، رأى بعينه آثار المعركة وشهد مع النحل أعراس النصر ومواكب الظفر.

وفيما كانت العقارب تحاول في هذا اليوم الرهيب الاختباء في التراب، جاء الموج الأخير المؤلف من عشرة آلاف نحلة، فنزل في الماء وعب منه، ثم جاء وأفرغه فوق حفر العقارب، فلما رأت الماء انتحرت بلسع أنفسها وبقيت مدفونة في التراب.

كان يوماً من أواخر أيام الربيع... حيث انتشرت النمل، ووصلت إلى البحر لتلامس بشنباتها وأقدامها الماء وتحمد الله، وكتل كثيفة من النحل تبلغ مئات الألوف تتدلى كالعناقيد على أغصان الشجرات الثلاث حسناوات الجزيرة. وفوق الصخرة المدببة اجتمع كُتَّاب النحل يكتبون بحليب النحل على الصخرة لحن الخلود ، قائلين:

- «باسم الخالق»...

استمرت هذه الحياة البهيجة ثلاثة أيام كاملة، لم يفكر أحد بالجوع أو بالنوم أو الخلايا أو الزهور...

وانفجرت عناقيد النحل الحمراء كالبركان. ملأت الأجواء بسمفونية من الأزيز والطنين فكانت الجموع المنفجرة ترتفع عمودياً ثم تقوم بدورة حول الجزيرة تتقدمها ملكتها، وتنتشر فوق الجزيرة كلها كما تنتشر الخيمة وتظللها كالسحابة، ثم تنفتح السحابة من وسطها وتدور كالحلقة، وتضيق الحلقة ثم تضيق إلى أن تصير الدائرة نقطة في مركزها. فتحط فوق التراب، فتعفر وجهها بالتراب، وتتعانق مع النمل ثم تعود إلى الشجر، فإذا فرغ هذا السرب بدأ السرب الآخر ليقوم ما قام به السرب الأول...

أما النمل فقد بدا على وجهه الخجل لأنه صم آذانه عن نصائح النحل، وعمل في خدمة الثعابين مدة طويلة. لكن ملكة النحل أعلنت من فوق الصخرة المدببة أن لا تثريب على النمل اليوم فأدخلت على النمل الفرح والسرور. وتأكدت هذه الصداقة في الأنشودة المنقوشة على الحجر، وبقيت مبدأ ثابتاً لا يتغير.

حياة جديدة..

عادت هذه الجزيرة مملكة للنحل من جديد، وعاش النمل والنحل أصدقاء وجيران متحابين متكاتفين وسادت أعراف النحل في الهواء ونظام النمل في التراب. وعادت النحل من جديد تجمع رحيق الأزهار من جزيرة «كن» وتجلب الماء العذب من جزيرة «إبليس»، وعجينة الأوراق الطازجة من جزيرة «سور»، وساد الأمن والرخاء ربوع البلاد إلى ما شاء الله. وأرسلت قوة استطلاع إلى جزيرة إبليس عقب يوم النصر الحاسم، وتم قتل كل ما فيها من عقارب وثعابين.

ولتعلموا أنه عقب هذا التحرير أضيف إلى أعراف النحل شيء جديد: ذلك أن النحلات التي حطت بأقدامها على أجساد الأفاعي الدامية، وتلوثت بدمائها، ثم حطت بهذه الأقدام على الخلايا، فصارت سوداء اللون، فتم إنتاج نوع جديد من العسل فأطلق عليه اسم «عسل الثعبان» وتبين أن لهذا العسل الأسود فوائده. فهنيئاً لمن أكل!...

لم تكن هناك ضرورة في تحطيم النصب الذي صنع للثعبان الأعور من جثث النحل على الصخرة المدببة. فتم طلاؤه بشمع العسل ليتحول إلى برج. وأنشئ عليه البرج الاحتفالي لملكة النحل.

أما جثث الأفاعي والمومياء المحفوظ في قشر السلحفاة؛ فلم يأبه لها أحد، حتى جاءت أمواج البحر في موسم الأمطار وابتلعتها. لتكون طعماً للأسماك... واغتسلت مملكة النحل وصارت نظيفة طاهرة..

وطويت صفحة هذا الحدث التاريخي. وعاودت النحل في بلدان

العالم زيارة مملكة النحل، وأنشأت معها وحدة الأعراف. واستأنفت إنتاج العسل.

وأكلنا نحن العسل. فتحدثنا بالأحاديث الحلوة، واستمتعتم بما تحدثنا.

أدام الله البهجة في أرواحكم، والطمأنينة في قلوبكم. وليكن هذا الكتاب هدية مني إليكم.



المحتوى



منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١- من الشعر الإسلامي الحديث، لشعراء الرابطة.

٢- نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي.

٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.

٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، د. عبد الباسط بدر.

٥- النص الأدبي للأطفال، د. سعد أبو الرضا.

٦- ديوان «البوسنة والهرسك»، مختارات من شعراء الرابطة.

٧- لن أموت سدى «رواية»، الكاتبة جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية).

٨- ديوان «يا إلهي»، محمد التهامي.

٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د. عودة الله القيسي.

١٠- ديوان «مدائن الفجر» د. صابر عبد الدايم.

١١- العائدة «رواية»، سلام أحمد إدريسو الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية.

١٢- محكمة الأبرياء «مسرحية شعرية» د. غازي مختار طليمات.

١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د. حلمي القاعود.

١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» د.جابر قميحة.

١٥- ديوان «في ظلال الرضا»، أحمد محمود مبارك.

١٦- في النقد التطبيقي، د. عماد الدين خليل.

١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، حليمة بنت سويد الحمد.

١٩- د. محمد مصطفى هدارة، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

٢٠- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د. ماجدة مخلوف.

٢١- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية»، محمد رشدي عبيد.

٢٢- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».



سلسلة أدب الأطفال:

١- غرد يا شبل الإسلام، شعر، محمود مفلح.

٢- قصص من التاريخ الإسلامي، أبو الحسن الندوي.

٣- تغريد البلابل، شعر، يحيى الحاج يحيى.

٤- مذكرات فيل مغرور، شعر قصصي. د. حسين علي محمد.

٥- أشجار الشارع أخواتي، شعر، أحمد فضل شبلول.

٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب، د. فوزي خضر.

٧- باقة ياسمين «مجموعة قصصية للأطفال من الأدب التركي»

تأليف: علي نار، ترجمة: شمس الدين درمش.



● تطلب من مكاتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

١ ـ مكتب المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤ ـ ص. ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨ ـ ٤٦٢٧٤٨٢ فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

٢ ـ مكتب الأردن: عمان ١١١٩٢ ـ ص.ب ٩٢٣٠٨٤

هاتف / فاكس: ٥٦٢٠٩٣٥

٣ ـ مكتب مصر: ص. ب ٨١ ـ باب اللوق ـ القاهرة ـ ١١٥١٣

هاتف وفاكس ٧٩٦١٥٠٢

٤ ـ مكتب المغرب: ص. ب ٢٣٨ وجدة ٦٠٠٠١

هاتف / فاكس : ٥٠١٩٢٥

تحت الطبع:

١- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة، د. كمال سعد خليفة.

٢- بحوث الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات.

٣- بحوث ندوة تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامي.

٤- الأعمال الفائزة في مسابقة ترجمة الإبداع من آداب الشعوب الإسلامية (ستة كتب).

٥- الأعمال الفائزة في مسابقة الأدبيات الإسلاميات (١٠كتب).

٦- الأعمال الفائزة في مسابقة أدب الأطفال التي أجرتها الرابطة، وهي :

- ٣ مجموعات شعرية.
- ٣ مجموعات قصصية.
- ٣ مسرحيات.



المؤلف في سطور

تعريف بالمؤلف

الاسم: علي نار

حياته العلمية:

- ولد في سنة ١٩٣٨ م في قرية صاري قامش في شرق الأناضول من تركيا.

- أنهى دراسته الابتدائية في قرية صاري قامش.

- أُدخل ثانوية الأئمة والخطباء في قيصري عام ١٩٥٣م.

- تخرج من ثانوية الإمامة والخطابة في أرضروم عام ١٩٦٠ م.

- تم قبوله في المعهد الاسلامي العالي في استانبول عام ١٩٦٠ م، وتخرج منه ١٩٦٤.

حياته العملية:

- تم تعيينة مدرساً في ثانوية الأئمة والخطباء بديار بكر.

- قضى أربع سنوات بالتدريس في أرزنجان. وأربع سنوات أخرى في إزميت.

- أجرى بعض البحوث في بغداد وفي دول الشرق الأوسط.

- أمضى ثلاث سنوات بالتدريس في ثانوية الأئمة والخطباء بغازي عثمان باشا. وسبع سنوات في نفس المدارس بمنطقة الفاتح.

- قام بتدريس العلوم الدينية.

- خلال ثلاث السنوات الأخيرة عمل في ثانوية أحمد راسم.

- ترك التدريس متقاعداً عام ١٩٩٠م.

- كتب قصصاً وروايات ويوميات ومسرحيات.

- نشر أول أبياته الشعرية في مجلة «الإسلام».

- كتب عدة مسرحيات منها: «الفتح». و«مختار قافاس» أو «عقل مختار».

- و«هذا هو الميدان وهذا هو الشيطان»،

- حاز على الجائزة الأولى لمسرحية نادي اتحاد الطلبة الوطني لسنة ١٩٧٥م بمسرحية «مختار قافاسي».

- رحل إلى بغداد ومكث فيها سنة واحدة كتب خلالها (يوميات الشرق الأوسط).

- أسس مجلة الأدب الإسلامي التركية.

- أسس فرع رابطة الأدب الإسلامي العالمية في تركيا.

- ترجم عدداً من الكتب الأدبية والعلمية من العربية إلى التركية.

عن إنتاجه الأدبي:

١ - مملكة النحل «رواية»، مترجمة إلى العربية فازت بالجائزة الأولى في مسابقة الرابطة.

٢ - مزارعون في الفضاء، «رواية» مترجمة للإنجليزية.

٣ - بحر الدم، مجموعة قصصية.

٤ - مختار نامة، مجموعة قصصية.

٥ - باقة ياسمين، مجموعة قصصية للأطفال مترجمة إلى العربية في إصدارات الرابطة.

٦ - أسطول الأذان، (ديوان شعر)

٧ - الهجرة النبوية وشخصية المسلم، بحث.

٨ - قوس قزح المسلم، مقالات علمية.

٩ - الإنشداد بين لا نهايتين، مقالات أدبية.



المترجم في سطور

تعريف بالمترجم

الاسم: كمال أحمد خوجه أوغلو

مكان وتاريخ الولادة: سورية - الراعي/١٩٤٣م.

المؤهلات العلمية

- ليسانس شريعة من جامعة دمشق.

الخبرات العملية:

- خبرة في العمل الإذاعي باللغة التركية ١٦ عاماً.
- خبرة في مجال الترجمة من التركية إلى العربية وبالعكس (٣٥) عاماً.
- خبرة في الوثائق العثمانية وترجمتها.

- العمل الحالي :

خبير المخطوطات العثمانية

- من ترجماته؟
- مسرحية علم وحكمة إلى اللغة التركية ١٩٦٨.
- كتاب الشورى في الإسلام إلى اللغة التركية ١٩٧٢م.

- كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إلى التركية ١٩٨٥م.

- كتاب يهود الدونما إلى اللغة العربية ١٩٧٥م.

- كتاب أسرار الانقلاب العثماني١٩٧٥م.

- كتاب العلمانية والإسلامية عام ١٩٩١م إلى اللغة التركية .

- كتاب الشيعة والتصحيح ١٩٩٣م إلى اللغة التركية.

- كتاب مذكرات السلطان عبد الحميد إلى اللغة العربية عام ١٩٧٥م.

- كتاب مذكراتي السياسية للسلطان عبد الحميد إلى اللغة العربية ١٩٧٦م.

